١

رسائل إلى مربية الأجيال

قضية تحرير المرأة

محمد قطب

219
م ق

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

كنا نهدف يوم أن أصدرنا الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى تبيين نموذج مؤامرة على المرأة المسلمة تمت من خلال مشاهد مسرحية نفذت بواسطة مجموعة من الممثلين:

* قاسم أمين كاتب السيناريو.
* هدى شعرواي المنفذ.
* سعد زغلول المخرج.

وكانت تجري هذه المشاهد مصحوبة بنشاط صحفي محموم لتسويق الفكر العلماني تجاه المرأة، يستظل بمظلة استعمارية غربية لينتهي المشهد بمظاهرة نسائية تُخلع الحجاب في نهايتها.

ولقد ذكرنا في مقدمة الطبعة الأولى، إن التجربة المسرحية في مصر عمّت بها البلوى في مجتمعات عدة وانه تم استنساخها للتوزيع مع بعض التعديلات اللازمة حسب المجتمع، فأساليب المناورة تتشابه إلى حد كبير فهم أي العلمانيون:

* يستندون في أول دعوتهم إلى خروج المرأة وسفورها بقضايا قد تكون مقبولة أو مُختلف عليها بين أفراد المجتمع وهم يعرفون حتما أن هذه القضايا ستؤدي في النهاية إلى سفور المرأة.

* أنهم يمارسـون إرهابًا إعلاميًا في المجتمع حيث يصورون أن الخلاف حول سفور المرأة بين المجتمع وبين ثلة من المتعصبين ـ كما يسمونهم ـ قالبين الحقائق رأسًا على عقب.
* أنهمّ يستنصرون بأوليائهم في دول الكفر الغربية خاصة من أجل ممارسة الضغوط على المجتمع للإستسلام لمطالبهم.
* أنهم يتناصرون فيما بينهم لتحقيق أهدافهم موزعين الأدوار كل فيما يخصه وحسب تخصصه فالمسئول له دور، والأكاديمي الجامعي. له دور والصحفي الإعلامي. له دور. وهكذا.

ونحن ندرك أن الأحداث التي تمر بالأمة جسيمة ومذهلة وأنّ فريقًا من العلمانيين يسعون لنقض عرى الإسلام عروة عروة وأن فريقًا من المنافقين يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب. وزنادقةٍ أخرون يحرفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظًاً مما ذكروا به ولكن المهم أن تعرف هذه الطوائف جميعها أن القابلية لنجاح المؤامرات قد لا تتوافر في بعض المجتمعات، خاصة معاقل الإسلام والتوحيد.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين.. آمين.

الناشر

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

● السؤال الذي يطرح نفسه ونحن نتحدث عن قضية تحرير المرأة هو: هل للمرأة قضية في مجتمعنا ولماذا هذه الاثارة حول المرأة؟

هل ضاعت هويتها لدرجة أن تطرح أسئلة عريضة مثل: أيتها المرأة أين هويتك؟ أو هل هي مظلومة حتى تعلن المرافعة ضد الرجل.

إن وضع المرأة ومهمتها في المجتمع قضية واضحة في دين الله، لذلك جاءت التشريعات الخاصة ببناء البيت المسلم والمجتمع المسلم وبالعلاقات بين الرجل والمرأة محددة وواضحة، بل إن الأصل الذي قام عليه مبدأ الذكر والأنثى في الكون هو الذي أصله الدين وهو وضوح هوية المرأة، ووضوح مهمتها في الحياة.

لقد تخصص كل من الرجل والمرأة بمهمة لا يستطيع الآخر أن يقوم بها بالصورة المطلوبة.

فالمرأة مشغولة في البيت فالأصل بقاؤها فيه، لتؤدي رسالتها إلا لحاجة تخرجها عن الأصل.

والرجل يتولى أمور ما خارج البيت، وإذا اختلطت المهام بينهما حصل الاضطراب حتى يشمل المجتمع، ثم الحياة كلها.

ونقول بعد ذلك: إذا كانت لقضايا المرأة المطروحة ما يفسر أسباب إثارتها في مجتمعات معينة، نقول يفسرها ولا يبررها، فإننا لا نجد تبريرا بل ولا تفسيرا لطرح هذه القضايا وإثارتها في مجتمعنا، حيث تسود قيم الإسلام الضابطة لوضع المرأة في المجتمع.

لذلك يأتي تحذيرنا لكل الغيورين في مجتمعنا من مثل هذه الدعوات التي تريد إخراج المرأة عن بيتها وعن مهمتها ورسالتها وطبيعتها، وإذا حصل ذلك ـ لا سمح الله ـ فلا تسأل عن هلكة المجتمع.

- إن وضع المرأة في مجتمعنا لا يمكن أن تحلم به تلك المرأة الغربية سواء كانت بنتا أو زوجة أو أما.

وبنظرة موضوعية لوضع المرأة في الغرب وهي بنت تتقاذفها أيدي الذئاب البشرية.

أو زوجة كادحة لا تأوي إلى بيتها إلا كالة مرهقة لتشارك الرجل حتى في دفع أقساط السيارة والبيت وإلا فلا قيمة لها.

وأمَّا يقذفها أولادها بالنهاية في إحدى دور الرعاية الاجتماعية.

نقول بنظرة منصفة إلى حال المرأة المسلمة في مجتمعنا وهي بنت مصونة يحافظ عليها الرجل كجزء من حياته.

أو وهي زوجـة مكفولة بواسطة الرجل حتى ولو ملكت ما ملكت من المال.

بل يظهر البون الشاسع وهي أم أو جدة تتحول إلى ملكة في كيان أولادها وأحفادها.

إن المـرأة في الغرب مظلومة ومبتذلة حقا، إنها تستحق أن يرفع لها قضية ترافع بها الرجل الذي يبتزها، وذلك من أجل إنصافها.

فمهـلا يا دعـاة التغـريب!! ويـا دعاة البحث عن هوية المرأة!! الإنصاف والموضوعية والقيم.. الزموها!!

ويا دعاة الإصلاح وأصحاب الغيرة: اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، وتذكروا قول النبي ﷺ «... **اتقوا**

الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». وحديث: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء» وغير ذلك من التحذيرات من الذي لا ينطق عن الهوى.

● وكجزء من المشاركة في تحذير مجتمعنا وإنذاره من الخطر الذي أصاب الأمم في دعوة ما يسمى «بتحرير المرأة» من أن يحل بنا، لذا قمنا باستلال أحد فصول الكتاب القيم «واقعنا المعاصر» وهو فصل «تحرير المرأة» بعد إذن المؤلف والناشر.

وذلك لأن هذا الفصل يتحدث بصورة واعية عن مراحل إخراج المرأة من بيتها وإفسادها في النهاية في ما يسمى عند العلمانيين بـ«تحرير المرأة» وذلك في المجتمع المصري.

ولأننا نعتقد أن تجربة المجتمع المصري عمت بها البلوى في المجتمعات الأخرى، لذا رأينا أن من واجبنا إيضاح الأمر وبيانه حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها فتذوقوا السوء.

وهي رسالة نرجو أن يتبعها رسائل أخرى في هذا الميدان بل وفي ميادين أخرى وذلك لتوضيح جوانب من محاور هجوم التيار العلماني على دين الأمة وقيمها.

النـاشـر

قضية تحرير المرأة

[بطل] هذه القصة هو قاسم أمين. .

شاب نشأ في أسرة تركية مصرية. - أي محافـظة - فيه ذكـاء غير عادي. حصـل على ليسانس الحقوق الفرنسية من القـاهرة وهو في سن العشرين. بينما كان هناك في عصره من يحصل على الشهادة الابتدائية في سن الخامسة والعشرين!

ومن هنـاك التقطه الذين يبحثون عن الكفاءات النادرة والعبقـريات الفـذة ليفسـدوهـا، ويفسـدوا الأمة من ورائها! التقطوه وابتعثوه إلى فرنسا. . **لأمر يراد.**

اطلع قبـل ذهـابه إلى فرنسا على رسالة لمستشرق يتهم الإسلام باحتقار المرأة وعدم الاعتراف بكيانها الإنساني. وغلى الدم في عروقه - كما يصف في مذكراته - وقرر أن يرد على هذا المستشرق ويفند افتراءاته على الإسلام.

ولكنه عاد بوجه غير الذي ذهب به!

لقد أثرت رحلته إلى فرنسا في هذه السن المبكرة تأثيرًا بالغًا

في كيانه كله، فعاد إلى مصر بفكر جديد وعقل جديد ووجهة جديدة . .

عاد يدعو إلى تعليم المرأة وتحريرها على المنهج ذاته الذي وضعه المبشرون وهم يخططون لهدم الإسلام!

يقول في مذكراته إنه التقى هناك بفتاة فرنسية أصبحت صديقة حميمة له! وإنه نشأ بينه وبينها علاقة عاطفية عميقة، ولكنها [بريئة]. . وإنها كانت تصحبه إلى بيوت الأسر الفرنسية والنوادي والصالونات الفرنسية، فتُفْتَح في وجهه البيوت والنوادي والصالونات، ويكون فيها موضع الترحيب. . (١)

وسواء كان هو الذي التقى بها أم كانت موضوعة في طريقه عمدا ليلتقي بها، فقد لعبت هذه الفتاة بعقله كما لعبت بقلبه، وغيرت مجرى حياته، وجعلته صالحًا للعب الدور المطلوب، الذي قررت مؤتمرات التبشير أنه لابد منه لهدم الإسلام!

ونحن نميل إلى تصديقه في قوله إن العلاقة بينه وبينها كانت [بريئة]. . لا بالمعنى الإسلامي للبراءة بطبيعة الحال، ولكن بمعنى عدم وصول هذه العلاقة إلى درجة الفاحشة. فإنها

---

(١) راجع [مذكرات قاسم أمين].

ـ على هذه الصورة ـ تكون أقدر على تغيير أفكاره من العلاقة المبتذلة التي تؤدي إلى الفاحشة، لأن الفتاة ستكون حينئذ ساقطة في حسه غير جديرة بالاحترام، وغير جديرة بأن تكون مصدر [إلهام]!

وسواء كانت الفتاة قد [مثلت] الدور بإتقان، لتظل العلاقة بينه وبينها [روحية]! و[فكرية] لتستطيع التأثير عليه، أم كانت تربيته المحافظة في الأسرة المنحدرة من أصل تركي هي التي وقفت بهذه العلاقة عند هذا الحد الذي يصفها بالبراءة.. فالنتيجة النهائية كانت انقلابًا كاملاً في كل كيانه.

ولنحاول أن نتصور كيف حدث التغيير.

هذا شاب عبقريّ، نعم، ولكنه قادم من بلاد محتلة، تحتلها إحدى الدول الأوروبية.. وهو قادم إلى أوروبا.. تلك التي يتحدث قومه عنها بانبهار المأخوذ، وتمثل في حسهم العملاق الضخم الذي يتضاءل الشرق أمامه وينزوي. فنستطيع عندئذ أن نتوقع أنه قادم إلى أوروبا وهو منخنس داخل نفسه، يحس بالضآلة والقزامة، ويتوجس أن يزدرى في بلاد العمالقة، لأنه قزم قادم من بلاد الأقزام، وأقصى ما يتمناه قلبه أن يجد الطمأنينة النفسية والعقلية في تلك البلاد الغربية التي لا يكاد يستوعبها الخيال!

وبينما هو كذلك ـ منكمش متوجس ـ إذا هذه الفتاة تبرز له في الطريق فتؤنس وحشته بادىء ذي بدء، فيزول عنه انكماشه وتوجسه، ويذهب عنه توتر أعصابه، ويشعر بالطمأنينة في المهجر.

ثم إن هذه الفتاة تبادله عواطفه ـ كما قصّ في مذكراته ـ فيشعر فوق الطمأنينة بالسعادة والغبطة، ويزداد استقرار نفسه فلا يعود يشعر بالغربة النفسية الداخلية، وإن بقيت الغربة بالنسبة للمجتمع الخارجي الذي لم يحتك به بعد.

غير أن الفتاة تنتقل معه ـ فتنقله ـ خطوة أخرى. فهي تصحبه إلى الأسر الفرنسية، فتفتح له تلك الأسر أبوابها وترحب به، وتصحبه إلى النوادي والصالونات فترحب به كذلك. وهنا تزول الغربة نهائيًا، سواء بالنسبة لمشاعره الخاصة أو بالنسبة للمجتمع الخارجي، وينطلق في المجتمع الجديد واثقًا من نفسه، واثقا من خطواته..

كيف تصير الأمور الآن في نفسه؟!

كيف ينظر إلى العلاقة بينه وبين هذه الفتاة؟

وكيف ينظر إلى التقاليد التي تم عن طريقها كل ما تم في نفسه من تغيير؟!

علاقة [بريئة].. أي لم تصل إلى الفاحشة.. نمت من خلالها نفسه نموًّا هائلاً، فخرجت من انكماشها وعزلتها، واكتسبت إيجابية وفاعلية، مع نمو في الثقافة، وسعة في الأفق، ونشاط وحيوية..

ما عيب هذه التقاليد إذن؟ وما المانع أن تكون تقاليدنا نحن على هذا النحو [البريء]؟!

هناك بلا شك ـ مهما أحسنا الظن ـ مجموعة من المغالطات في هذا [المنطق]..

المغالطة الأولى: هي دعواه [ببراءة] هذه العلاقة على اعتبار خلوها من الفاحشة المبينة. فحتى لو صدقناه ـ ونحن أميل إلى تصديقه كما قلنا ـ فهي ليست[بريئة] في [الميزان الإسلامي] الذي يقيس به المسلم أمور حياته كلها. فهي تشتمل على [خلوة] محرمة في ذاتها سواء أدت إلى الفاحشة أم لم تؤد إليها. وهي محرمة في دين الله لحكمة واضحة، لأنها تؤدي في النهاية ـ حتمًا ـ إلى الفاحشة، إن لم يكن في أول مرة ـ ولا حتى في أول جيل ـ فإنه ما من مرة أباحت البشرية لنفسها هذه الخلوة إلا وصلت إلى الفاحشة في نهاية المطاف. لم تشذ عن ذلك أمة في التاريخ!

والمغالطة الثانية: هي تجاهله ما هو واقع بالفعل في المجتمع الفرنسي من آثار مثل هذه العلاقة، وقد علم يقينًا بلا شك أن ذلك المجتمع يعج بألوان من العلاقات الأخرى [غير البريئة] ويسمح بها بلا رادع. فلم يكن ذلك سرًّا مخفيًّا عن أحد ممن يعيش في ذلك المجتمع، سواء من أهله أو من الوافدين عليه. فحتى لو صدقناه في أن علاقته هو الخاصة لم تصل إلى ما يصل إليه مثلها في ذلك المجتمع ـ لظروف خاصة مانعة في نفسه أو في نفسها ـ فليس ذلك حجة لإباحة تلك العلاقات، أو الدعوة إلى مثلها، وهو يرى بنفسه نتائجها الواقعية حين يبيحها المجتمع.

والمغالطة الثالثة: هي زعمه في كتابه الأول [تحرير المرأة] أن هذا التحرير لن ينتج عنه إلا الخير. ولن تنشأ عنه العلاقات الدنسة التي رآها بعينه في المجتمع الفرنسي.. إنما سينشأ عنه تقوية أواصر المجتمع وربطها برباط متين![1].

وأيًّا كان الأمر. فقد عاد قاسم أمين من فرنسا داعيًا لتحرير المرأة. داعيًا إلى السفور ونزع الحجاب!

■ نفس الدعوة التي دعا بها رفاعة الطهطاوي من قبل عند

(١) تنازل عن هذه المغالطة في كتابه الثاني [المرأة الجديدة] كما سيجيء.

عودته من فرنسا. مع فارق رئيسي. لا في الدعوة ذاتها ولكن في المدعوين! فإن أكثر من نصف قرن من الغزو الفكري المستمر كانت قد فعلت فعلها في نفوس الناس، فلم تقابل دعوة قاسم أمين بالاستنكار البات الذي قوبلت به دعوة رفاعة الطهطاوي، ولم توءد في مهدها، كما وئدت الدعوة الأخرى من قبل!

■ ومع ذلك فلم يكن الأمر سهلاً. فقد أثار كتاب [تحرير المرأة] معارضة عنيفة جعلت قاسم أمين ينزوي في بيته خوفًا أو يأسًا، ويعزم على نفض يده من الموضوع كله. ولكن سعد زغلول[1] شجعه، وقال له: امض في طريقك وسوف أحميك!

عندئذ قرر أن يعود، وأن يسفر عن وجهه تمامًا! فلئن كان في الكتاب الأول قد تمحك في الإسلام، وقال إنه يريد للمرأة المسلمة ما أعطاها الإسلام من حقوق، وفي مقدمتها التعليم، فقد أسقط الإسلام في كتابه الثاني [المرأة الجديدة] ولم يعد يذكره. إنما صار يعلن أن المرأة المصرية ينبغي أن تصنع كما صنعت أختها الفرنسية، لكي تتقدم وتتحرر، ويتقدم المجتمع كله ويتحرر! وهكذا سقط الحاجز المميز للمرأة المسلمة، وصارت هي والمشركة أختين بلا افتراق!

(١) انظر في الحديث عن دور سعد زغلول في حياة مصر الحديثة كتاب واقعنا المعاصر ص ٣١١.

■ بل وصل الأمر إلى الدعوة إلى السير في الطريق ذاته الذي سارت فيه الغربية من قبل، ولو أدى ذلك إلى المرور في جميع **الأدوار التي قطعتها وتقطعها النساء الغربيات**. وقد كان من بين تلك الأدوار ما يعلمه قاسم أمين ـ ولا شك ـ من التبذل وانحلال الأخلاق!

قـــال:

«.. ولا نرى مانعًا من السير في تلك الطريق التي سبقتنا إليها الأمم الغـربيـة، لأننـا نشاهد أن الغربيين يظهر تقدمهم في المدنية يومًا فيومًا».

«.. وبالجملة فإننا لا نهاب أن نقول بوجوب منح نسائنا حقوقهن في حرية الفكر والعمل بعد تقوية عقولهن بالتربية، حتى لو كان من المحقق أن يمررن في جميع الأدوار التي قطعتها وتقطعها النساء الغربيات»[1].

وكان آخر ما قاله في ليلة وفاته مخاطبًا ـ بالفرنسية ـ مجموعة من الطلبة والطالبات الذين جاءوا من رومانيا في زيارة لمصر:

«.. أحيي هذه البعثة العلمية وأشكرها على زيارة نادي

(١) عن مجلة الهلال في الاحتفال بالذكرى العشرين لوفاة قاسم أمين، عدد أول يونيه سنة ١٩٢٨م ص٩٤٨.

المدارس العالية. أحيي منها بصفة خاصة هاته الفتيات اللواتي تجشمن مصاعب السفر متنقلات من الغرب إلى الشرق حبًّا في الاستزادة من العلوم والمعارف. أحييهن وقلبي ملؤه السرور حيث أرى نصيبهن من العناية بتربيتهن لا يقل عن نصيب رفقائهن. أحييهن ولي شوق عظيم أن أشاهد ذلك اليوم الذي أرى فيه حظ فتياتنا المسلمات المصريات كحظ هاته الفتيات السائحات من التربية والتعليم. ذلك اليوم الذي نرى فيه المسلمات جالسات جنبًا إلى جنب مع الشبيبة المصرية في اجتماع أدبي كاجتماع اليوم، فيشاركننا في لذة الأدبيات والعلوم التي هن منها محرومات. فعسى أن تحقق الآمال حتى يرتقين فيرتقي بهن الشعب المصري»[1].

* * *

■ والآن وقد صار للمرأة [قضية] فلابد للقضية من تحريك.

وتبنى القضية فريق من النسوة على رأسهن هدى شعراوي، وفريق من الرجال [المدافعين] عن حقوق المرأة. وأصبح الحق الأول الذي تطالب به النسوة هو السفور! وصارت القضية التي يدور حولها الجدل هي السفور والحجاب!!

(١) الهلال، أول يونية ١٩٢٨م، ص٩٤٩.

● **من أين جاءت القضية؟!**

حين قامت الحركة النسوية في أوروبا كان للمرأة بالفعل قضية! قضية المساواة في الأجر مع الرجل الذي يعمل معها في المصنع نفسه وساعات العمل نفسها، بينما تتقاضى هي نصف ما يتقاضاه الرجل من الأجر.[1]

وحين اتسعت القضية هناك وتعددت مجالاتها ـ تلقائيًّا أو بتخطيط الشياطين[2] ـ فقد كان محورها الأول هو قضية المساواة مع الرجل في الأجر، ترجع إليه كلما طالبت أو طولب لها بحق جديد. حتى أصبحت القضية هناك في النهاية هي قضية المساواة التامة مع الرجل في كل شيء، ومن بين [كل شيء] [حق الفساد] الذي كان الرجل قد وصل ـ أو وُصِّل ـ إليه، فصار حق الفساد داخلاً بدوره في قضية المرأة، تحت عنوان [حق المرأة في اختيار شريك حياتها] في مبدأ الأمر، ثم تحت عنوان [حق المرأة في أن تهب نفسها لمن تشاء]!!

● أما في مصر ـ أو في العالم الإسلامي ـ فلم تكن للمرأة قضية

---

(١) تحدثت عن هذه القضية وأطوارها المتتابعة في أوروبا في فصل [دور اليهود في إفساد أوروبا] في كتاب [مذاهب فكرية معاصرة].

(٢) لم تكن تلقائية في الواقع وإن بدت كذلك!

خاصة! إنما كانت القضية الحقيقية هي انحراف هذا المجتمع عن حقيقة الإسلام، مما سميناه [التخلف العقدي]، وما نتج عن هذا التخلف العقدي من تخلف في جميع مجالات الحياة. وما تحقير المرأة وإهانتها وعدم إعطائها وضعها الإنساني الكريم إلا مجال من المجالات التي وقع فيها التخلف عن الصورة الحقيقية للإسلام. وعلاجها ـ كعلاج غيرها من الحالات جميعًا ـ هو العودة إلى تلك الصورة الحقيقية، والتخلي عن ذلك التخلف المعيب.

● تلك هي [القضية].. وهيَ ليست [قضية المرأة] ولا [قضية الرجل].. إنما قضية الأمة الإسلامية كلها، بجميع رجالها ونسائها وأطفالها وحكامها وعلمائها وكل فرد فيها. وتخصيصها بأنها [قضية المرأة] فضلاً عن مجانبته للنظرة [العلمية] الفاحصة، فإنه لا يعالج القضية. فلا يقدر لهذا العلاج أن ينجح، لأنه يتعامى عن الأسباب الحقيقية من ناحية، ويفتقر إلى الشمول من ناحية أخرى.

● **ولكن.. هل كان في ذهن أحد أن يبحث القضية بحثًا جادًّا مخلصًا فاحصًا فحصًا دقيقًا ليتعرف على الأسباب الحقيقية فيعالجها؟!**

أم هل كان أحد ممن تناول القضية في تمام وعيه ليناقشها مناقشة علمية موضوعية مبصرة؟!

أم هل كان أحد ممن تناول القضية سيد نفسه لينظر إليها بنظرته الخاصة، ويرى فيها ما يرى بمنظاره الخاص؟! أم كانوا كلهم من العبيد. سواء عبيد شهواتهم أو عبيد الغرب. الذين يساقون سوقًا لتنفيذ مخططات أعدائهم وهم سادرون في الغفلة، غارقون في الضلال البعيد!

بلى! لقد كانوا كلهم كذلك، رجالاً ونساءً، دعاة وأتباعًا، مخططين ومنفذين!

وإذا كان لابد للقضية من موضوع، فقد جعلت القضية - فجأة وبلا مقدمات حقيقية - قضية الحجاب والسفور!

لقد كانت القضية في أوروبا [منطقية] في ظاهرها على الأقل. أو في بدايتها على الأقل.

■ فحين تضطر المرأة إلى العمل - لظروف ليس هنا مجال تفصيلها[1] - ثم تعطى نصف أجر الرجل الذي يقوم بالعمل نفسه. فطلب المساواة في الأجر قضية حقيقية من جهة، وجيهة

(١) فصلت أسبابها عند الحديث عن الثورة الصناعية وآثارها في الحياة الأوروبية، في فصل [دور اليهود في إفساد أوروبا] من كتاب [مذاهب فكرية].

كل الوجاهة من ناحية أخرى.

■ **أما قضية الحجاب والسفور فما مكانها من المنطق، وما مكانها من الحق؟!**

لم يكن [الرجل] هو الذي فرض الحجاب على المرأة، فترفع المرأة قضيتها ضده لتتخلص من [الظلم] الذي أوقعه عليها، كما كان وضع القضية في أوروبا بين المرأة والرجل. **إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها وخالقها**[1]، الذي لا تملك - إن كانت مؤمنة - أن تجادله سبحانه فيما أمر به، أو يكون لها الخيرة في الأمر:

«وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرةُ من أمرهِم. ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينًا»[2].

ثم إن الحجاب في ذاته لا يشكل قضية.

فقد فرض الحجاب في عهد رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أشرت في هامشة سابقة إلى هذه الحقيقة ردا على الذين يجادلون في وقائع التاريخ، ويزعمون أن الحجاب كان تقليدا عربيا صحراويا قائما قبل الاسلام.. وذكرت قول عائشة رضي الله عنها في مدح نساء الأنصار «لما نزلت آية الحجاب قامت كل واحدة منهن إلى ثوبها فاعتجرت به».

(٢) سورة الأحزاب [٣٦].

وسلم، ونفـذ في عهـده، واستمـر بعـد ذلك ثلاثة عشر قرناً متـوالية.. ومـا من مسلم يؤمن بالله ورسوله يقول: إن المرأة كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مظلومة[1].

فإذا وقع عليها الظلم بعد ذلك، حين تخلف المسلمون عن عقيـدتهم الصحيحـة ومقتضيـاتها، فلم يكن الحجاب ـ بداهة ـ هو منبع الظلم ولا سببه ولا قرينه! لأنه كان قائماً في خير القرون على الاطلاق، التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خـيركم قرني»[2] وكـان قرين النـظافة الخلقية والـروحية، وقرين الرفعة الإنسانية التي لا مثيل لها في تاريخ البشرية كله.

● ولكن المطلوب هو نزع الحجاب!

المطلوب هو السفور! المطلوب هو التبرج! المطلوب هو أن تخرج المـرأة في النهـاية عارية في الطريق! ذلك ما تطلبه مؤتمرات المبشرين، وما يطلبه الصليبيون الذين يخططون..[3].

---

(١) يقول ذلك اليوم مرتدون متبجحون ممن يحملون أسماء إسلامية، فينسـبون الظلم إلى الله ورسوله، وإلى الدين الذي نزل من عند الله.

(٢) سبق ذكره.

(٣) واليهود يخططون معهم كما سيجيء.

فلتكن القضيــة إذن هي قضيــة السفـور والحجـاب. وليـوصف الحجـاب بكـل شرّ يمكن أن يرد على الـذهن، وليوصف السفور بكل خير يخطر على البال.

ولتبدأ القضية من هنا.. ولتنته حيث يريد الشياطين!

* * *

■ تلقفت [القضية] كما قلنا مجموعة من النسوة فطالبن بالسفور على أنه [حقّ] للمرأة سلبها إياه المجتمع، أو سلبها إياه الرجل الأناني المتحجر المتزمت الرجعي المتعفن الأفكار![1]

وكانت زعيمة [النهضة النسوية] هدى [هانم] شعراوي، التي اتخذت من بيتها [صالوناً] تقابل فيه الرجال سافرة. في غير وجود محرم[2].

كانت هدى شعراوي بنت محمد باشا سلطان أحد باشوات ذلك العصر، ومن هنا فهي [هانم] بالوراثة! سافرت إلى فرنسا لتتعلم. وسـافـرت محجبة. ولكنها حين عادت كانت سافرة. وكـان أبـوها يستقبلها في ميناء الإسكندرية ومعه مجموعة من أصـدقـائـه، فلما نزلت من البـاخرة سافرة احمر وجهه خجلاً

(١) في أي قرن يا ترى سلبها ذلك [الحق]؟!

(٢) انظر في الحديث عن [الصالونات] كتاب واقعنا المعاصر ص ٣٠٩.

وغضبًـا، وأشاح بوجهه عنها وانصرف دون أن يحييها. ولكن ذلك لم يردعها عن صنيعها، ولم يردها عن غيها الذي عادت به من فرنسا.

■ وتحلق حولها بعض النسوة. وبعض الرجال! الرجال الذين [يدافعـون] عن قضية المـرأة في الصحف والمجـلات، بالنثـر وبـالشعـر. لقـاء جلسة [لطيفة] في صالون الهانم أو ابتسامة تخص بها أحـدهم أو مبلغ من المـال تدسـه في يد واحد من الصحفيين المرتزقة فيكتب مقالاً في رقة الهانم ولطفها وابتسامتها العـذبـة وحسن استقبـالها لضيوفها - الرجال - أو يكتب عن اجتماعاتها وتحركاتها. أو يكتب عن [القضية].

■ وكانت قمة المسرحية هي مظاهرة النسوة في ميدان قصر النيل (ميدان الإسماعيلية) أمام ثكنات الجيش الإنجليزي سنة ١٩١٩م.

فقد كانت الثورة المصرية قد قامت(١)، وملأت المظاهرات شوارع القاهرة وغيرها من المدن تهتف ضد الانجليز، وتطالب بالجلاء التام أو الموت الزؤام. ويطلق الانجليز الرصاص من

(١) انظر الحديث عن الثورة المصرية في كتاب واقعنا المعاصر ص ٣١٥.

مدافعهم الرشاشة على المتظاهرين فيسقط منهم كل يوم قتلى بلا حساب.

وفي وسط هذه المظاهرات الجادة[1] قامت مظاهرة النسوة، **وعلى رأسها صفية هانم زغلول زوجة سعد زغلول**[2]، وتجمع النسوة أمام ثكنات قصر النيل، وهتفن ضد الاحتلال. ثم. **بتدبير سابق، ودون مقدمات ظاهرة، خلعن الحجاب، وألقين به في الأرض، وسكبن عليه البترول، وأشعلن فيه النار. وتحررت المرأة!!!**[3]

ويعجب الإنسان الآن للمسرحية وخلوها من المنطق.

فما علاقة المظاهرة القائمة للاحتجاج على وجود الاحتلال الإنجليزي، والمطالبة بالجلاء عن مصر. ما علاقة هذا بخلع الحجاب وإشعال النار فيه؟!

هل الإنجليز هم الذين فرضوا الحجاب على المرأة المصرية المسلمة من باب العسف والظلم، فجاء النسوة يعلن احتجاجهن على وجود الإنجليز في مصر، ويخلعن في الوقت ذاته

---

(١) كانت جادة وإن شابها الانحراف الذي ستتحدث عنه فيها بعد.

(٢) اسمها الحقيقي صفية مصطفى فهمي. ولكنها سميت صفية زغلول باسم زوجها سعد زغلول على طريقة الأوربيين في إلحاق الزوجات بأسماء أزواجهن تأثرا بالغزو الفكري وعملية التغريب. ولكن [الجماهير] لم تفطن لذلك ولم تستنكره!

(٣) سمي ميدان الإسماعيلية الذي تحللت فيه المرأة من حجابها الإسلامي ميدان [التحرير] [تخليدا] لهذه الذكرى العظيمة!

ما فرضه عليهن الإنجليز من الحجاب؟!

هل كان الإنجليز هم الذين ألبسوا المرأة الحجاب ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً كاملة قبل ذلك؟!

أو كانوا هم الذين سلبوا المرأة [حق] السفور منذ ذلك الزمن السحيق. فجئن اليوم [يتحررن] من ظلمهم، ويلقين الحجاب في وجههم تحديًا ونكاية فيهم؟!

ما المنطق في المسرحية؟!

لا منطق في الحقيقة!

ولكن التجارب التالية علمتنا أن هذا المنطق الذي لا منطق فيه، هو الطريقة المثلى لمحاربة الإسلام.

■ إن الذي يقوم بعمل من أعمال التخريب والتحطيم ضد الإسلام ينبغي أن يكون **[بطلاً]** لتتدارى في ظل **[البطولة]** **أعمال التخريب والتحطيم!**

كمال أتاتورك.. جمال عبدالناصر.. أحمد بن بيلا.. وعشرات غيرهم من **[الأبطال]** الذين حاربوا الإسلام بوسيلة من الوسائل.. كلهم ينبغي أن يكونوا **[أبطالاً]** وقت قيامهم بمحاربة الإسلام، وإلا انكشفت اللعبة من ورائهم، وانكشفت عمالتهم لأعداء الإسلام من الصليبيين واليهود.

● كمال أتاتورك الذي أطاح بالخلافة، وأراد أن يقطع ما بين الأتـراك وبين إسلامهم، فمنع الأذان باللغة العربية، وكتب اللغة التركية بالحروف اللاتينية وأمر بخلع الحجاب وذبح عددًا من علماء المسلمـين. . كان [بـطلاً] صنعت له البـطولات المسرحية الزائفة لِتُخفي يده التي تقطر بدماء المسلمين، وتخفي جريمته الكبرى في حرب الإسلام.

● جمال عبدالناصر الذي ذبح قادة الدعوة الإسلامية في مصر، وأنشأ للتنكيل بهم في سجون مصر ألوانًا من التعذيب الوحشي لا مثيل لها في تاريخ البشرية كله، إلا في محاكم التفتيش التي أقامها الصليبيون في الأندلس للقضاء على الإسلام. . وألغى المحـاكم الشرعية، وهمّ بإلغـاء الأزهـر. . وأضـاف جرعات جديدة [لتحــريـر المـرأة]. . كان [بـطلاً]. . أضيفت عليه البطولات المصطنعة لإخفاء الجريمة الهائلة التي ارتكبها ضد الإسلام.

● أحمد بن بيلا الذي جاء ليسرق الثورة الإسلامية، ويحولها إلى ثورة اشتراكية بعيدة عن الإسلام مناوئة له، والذي دعا المرأة الجزائرية إلى خلع الحجاب بحجةُ عجيبة حين قال: **إن المرأة الجزائرية قد امتنعت عن خلع الحجاب في الماضي لأن فرنسا**

هي التي كانت تدعوها إلى ذلك![1] أما اليوم فإني أطالب المرأة الجزائرية بخلع الحجاب من أجل الجزائر..!

أحمد بن بيلا ـ يوم أن دعا تلك الدعوة ـ كان [بطلاً] أضفيت عليه البطولة المصطنعة بخطفه من الطائرة وهو متوجه من فرنسا إلى الجزائر.. حتى إذا نضجت اللعبة.. لعبة [البطولة].. أطلق سراحه ليقوم بعمله ضد الاسلام..[2]

■ وعلى هذا الضوء نفهم مظاهرة النسوة في ميدان الإسماعلية بالقاهرة سنة ١٩١٩م.

لابد من بطولة تضفي على كل عمل من أعمال التخريب ضد الإسلام، لتخفي ما وراء من تدبير..[3].

وأي بطولة للنسوة يومئذ أكبر من أن يقفن أمام قوى

---

(١) هنا كشف بن بيلا القناع عن الحقيقة ـ بلا قصد منه ـ حين صرح بأن قوى الاستعمار الصليبي هي التي تدعو إلى السفور وخلع الحجاب!

(٢) يقال إنه ـ في محبسه ـ حين عزل عن الحكم ونفي من الأرض قد عاد إلى الإسلام وأخذ يدعو إليه. ولسنا نكره للناس الهدى. ولكنه في فترة سلطانه كان مناوئا صريحا للاسلام.

(٣) لسنا ندري بالضبط من هو صاحب التدبير في خلع الحجاب في أثناء المظاهرة وإحراقه، ولكن مجريات الأمور تدل على أن سعد زغلول ـ الصديق الحميم لقاسم أمين، الذي شجعه على المضي في الطريق، ووعده بحمايته ـ كان يبارك تلك الخطوات، ويضع زوجته على رُأسها. وانظر «كتاب واقعنا المعاصر» ص ٣١٥ في الكلام عن دور سعد في تحويل الثورة من ثورة إسلامية إلى ثورة وطنية مبتعدة عن الإسلام.

الاحتلال، يهتفن ضدها، ويفتحن صدورهن للرصاص..؟!

■ يقول حافظ إبراهيم في شأن هذه المظاهرة:

خرج الغواني يحتججن ورحت أرقب جمعهنه
فإذا بهن تَخِذنَ من سود الثياب شعارهنه
فطلعن مثل كواكب يسطعن في وسط الدجُنه
وأخذن يجتزن الطريق ودار سعد قصدهنه
يمشين في كنف الوقار وقد أبن شعورهنه
وإذا بجيش مقبل والخيل مطلقة الأعنه
وإذا الجنود سيوفها قد صوبت لنحورهنه
وإذا المدافع والبنادق والصوارم والأسنه
والخيل والفرسان قد ضربت نطاقًا حولهنه
والورد والريحان في ذاك النهار سلاحهنه
فتطاحن الجيشان ساعات تشيب لها الأجنه
فتضعضع النسوان والنسوان ليس لهن منّه[1]
ثم انهزمن مشتتات الشمل نحو قصورهنه

* * *

(١) منه أي قوة.

● وتدريجيا . . في ظل البطولة المدوية . . سقط الحجاب!

وأصبح من المناظر المألوفة في العاصمة أولاً، ثم في المدن الأخرى بعد ذلك، أن ترى الأمهات متحجبات، والبنات سافرات، وكانت الأداة العظمى في عملية التحويل هذه هي التعليم من جهة، والصحافة من جهة أخرى.

فأما التعليم فقد اقتضى معركة طويلة حتى تقرر . . على المستوى الابتدائي أولاً، ثم المستوى الثانوي، ثم في المرحلة الجامعية.

● واستفاد أعداء الإسلام فائدة عظمى من الوضع الجاهلي الذي كان يسود المجتمع الإسلامي تجاه المرأة وتعليمها، فأثاروها قضية، ودقوا دقًّا عنيفًا على الأوضاع الظالمة لينفذوا منها إلى ما يريدون.

ولسنا الآن في مجالِ تحديد المسئوليات، إنما نحن نتابع خُطى التاريخ.

وإلا فقد كان المسلمون على خطأ بيّن، وظلم بيّن للمرأة حين منعوا تعليمها، كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلموها، وحين أهانوها وحقروها في الأمر ذاته الذي كرمها الله به ورفعها، وهو الأمومة وتنشئة الأجيال.

[ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أُمه وهنًا على وهْنٍ وفصاله في عامين، أن اشكُر لي ولوالديك، إليّ المصير][(1)].

[الجنة تحت أقدام الأمهات][(2)].

[من أولى الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أبوك][(3)].

■ **ولكن الذين استغلوا هذا الوضع ليطلقوا دعوتهم لم يكن همهم الحقيقي رفع الظلم عن المرأة، إنما كان رائدهم الأول هو تحطيم الإسلام،** وإخراج المرأة فتنة متبرجة في الطريق لإفساد المجتمع الإسلامي.. ولم تكن الفوضى الخلقية التي عمت المجتمع فيما بعد مفاجئة لهم، ولا شيء مستنكرًا من جانبهم يشعرهم بالندم على ما قدمت أيديهم.. بل كانت شيئًا محسوبًا ومتوقعًا ومرغوبًا بالنسبة إليهم، وقد كانوا يرون تجربة الغرب ماثلة أمام أعينهم، ويعرفون ما يؤول إليه الأمر في المجتمع المسلم حين يتجه الوجهة ذاتها، ويسير على الخطوات ذاتها.

---

(1) سورة لقمان [١٤]

(2) رواه أحمد والنسائي

(3) متفق عليه.

■ ولا ينفى هذا بطبيعـة الحـال وجـود مخدوعـين مستغفلين يتلقفون الدعوة بإخلاص.. ولكنه إخلاص لا ينفي الغفلة! وهم - بغفلتهم - أدوات معينة للشياطين، يستغلون موقفهم لتقـوية دعوتهم، لأن الناس ترى إخلاصهم فتظن أنهم على خير فيتبعونهم، فيتم ما أراد الشياطين!

■ وقد كان هناك بديل ثالث للمصلح المخلص، الذي يريد الله ورسـوله، ويريد تصحيح الأوضاع في المجتمع المنحرف، ورفـع الـظلم عن المظلومين، وهو الدعوة - والجهاد - لإعادة المجتمع الإسلامي إلى صورته الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها. ولكن أحدًا من [المصلحين] القائمين يومئذ لم يدع إلى ذلك البديل الثالث.

وظـلّ الخيار المعروض دائمًا هو إما الإبقاء على الأوضاع السيئـة المتخلفـة الجـامـدة الـظالمـة، وإما محو الإسلام ونبذه والانسلاخ منه، والاتجاه إلى أوروبا من أجل التقدم والتحضر والـرقي.. بل إنـه حين جاءت الدعوة إلى البديل الثالث في موعدها المقدور عند الله، وجدت أبشع الاضطهاد والتنكيل من الحـكـام، ووجـدت الإعـراض العنيف والمعـارضـة من [المـصـلحـين!] مما يكشف عن الاتجـاه الحقيقي لحركـات

[الإصلاح] التي أقيمت في المجتمع الإسلامي، وأن هدفها لم يكن الإصلاح حقًا، بقدر ما كان هو تحطيم الإسلام أولاً.. وليكن بعد ذلك ما يكون!

■ **سقط الحجاب تدريجيًا عن طريق [بنات المدارس]!**

أو لم تقـرر المؤتمرات التبشيرية في مخططاتها ضد الإسلام **ضرورة العمل على تعليم المرأة المسلمة وتحريرها؟!**

وفي مبـدأ الأمـر لم يكن التبرج والتهتك هو طابع بنات المدارس، بل لم يكن مقبولاً أصلاً في المدارس!

والحكمة في ذلك واضحة بطبيعة الحال! فلا المجتمع في ذلك الوقت كان يسمح، ولا كشف الخطة كاملة منذ اللحظة الأولى كان يمكن من تنفيذها، بل كان قمينا بالقضاء عليها في مهدها!.

لو خرجت بنات المدارس عن تقاليد المجتمع المسلم دفعة واحدة ومن أول لحظة، هل كان يمكن أن يقبل أحد من أولياء الأمور أن يرسل بنته إلى المدرسة لتتعلم؟!

كلَّا بالطبع!

إنـها لابد من طمأنة أولياء الأمور تمامًا، حتى يسمحوا

بإرسال بناتهم إلى المدارس. ولتكن الخطة على الأسلوب المتبع في عملية التحويل كلها: [**بطيء ولكنه أكيد المفعول**]! [منعًا لإثارة الشكوك]!

بالتدريـــج..

الشعـر في مبدأ الأمر مغطى بقبعة.. وتتدلى من الخلف ضفيرتان تربطهما شريطة من القماش. الضفيرتان مكشوفتان، أمـا الرأس فتخفيه القبعة! والوجه سافر.. نعم.. ولكن.. **صغيرات يا أخي! لا بأس!**

ولم يمر الأمر في الحقيقة بسهولة.. ولكنه مر في النهاية! كما مرت كل الخطوات التالية حتى كشفُ الصدر والظهر والساقين والذراعين والعري على الشواطىء والتهتك في الطرقات..

كيف مــر؟!

إن لهذا الأمر دلالته ولا شك..

نعم، كانت هناك جهود شيطانية لإفساد المجتمع المصري بالذات، **لتصدير الفساد منه إلى بقية المجتمع الإسلامي، كما مر القول**، وشاركت في هذه الجهود كل الوسائل الممكنة من صحـافـة وإذاعـة وسينما ومسرح.. الخ. وكان التركيز عنيفًا

والوسائل فعالة.. ولكن هل يكفي ذلك كله لتفسير ما حدث؟!

● **لبيان ذلك نقول**: إن كل هذه الوسائل لا تزال مستخدمة حتى هذه اللحظة، وبعنف أشدّ مما كان قبل خمسين عامًا دون شكّ، وقد أحدثت هذه الوسائل في خلال ما يزيد على نصف قرن تيارًا هائلًا نافرًا من الإسلام منسلخًا منه.. ومع ذلك توجد اليوم فتيات **محجبات**، جامعيات مثقفات، لا يتنازلن عن حجابهن ولو دخلن من أجله السجون والمعتقلات.

فمـا الفـرق؟!

● بعبارة أخرى نسأل: **هل كان الحجاب الذي سقط عقيدة أم هو تقاليد؟!**

والأخلاق التي سقطت.. هل كانت ذات رصيد إيماني حقيقي أم كانت تقاليد؟!

والرجل الذي ثار يوم كشفت [بنات المدارس] عن وجوههن.. هل ثار للعقيدة، أم ثار للتقاليد؟!

والرجل الذي ثار يوم نزلت المرأة إلى الشارع لتعمل.. هل كانت ثورته نابعة من عقيدة حقيقية، دينية أو غير دينية،

أم كانت [عنجهية] الرجل هي المحرك، والمحافظة عليها هي الدافع إلى الثورة؟

حين يكون الحجاب عقيدة فإنه لا يسقط.. مهما سلط عليه من أدوات التحطيم.

وحين تكون الأخلاق ذات رصيد إيماني حقيقي، فليس من السهل أن تسقط ـ ولو سلطت عليها عوامل الإفساد ـ إلا بعد مقاومة شديدة وزمن مديد.

أما التقاليد الخاوية من الروح.. وأما العنجهية الفارغة.. فهي عرضة للسقوط إذا اشتد عليها الضغط، وقد كان الضغط عنيفًا بالفعل، بل كان شيطانيًا بكل ما تحمله الكلمة من معان!

* * *

بدأت بنات المدارس يكشفن عن وجوههن ويسرن في الطريق على النحو الذي وصفناه، ولكن في ملابس طويلة تغطي الذراعين جميعًا وتصل إلى القدمين، وفي أدب ظاهر و[استقامة] كاملة..

وهل كن يملكن غير ذلك؟!

إن الفتاة التي يحدثها شيطانها أن تلتفت فقط ـ يمنة أو

يسرة ـ تضيع! تسقط في نظر المجتمع ـ وتكون عبرة لمن يعتبر! فمن التي في مبدأ الأمر تلتفت يمنة أو يسرة؟!

إنما هو الأدب الكامل والانضباط الشديد!

■ وحين افتتحت أول مدرسة ثانوية للبنات في القاهرة.. [مدرسة السنية] كانت ناظرتها إنجليزية.. وكانت [قمة] في المحافظة إلى حد التزمت! فهكذا ينبغي أن تكون الأمور في مبدأ الأمر!! حتى يكتب لهذه الخطوة الثبات في الأرض والتمكين، ويمكن مدها فيما بعد إلى آفاق جديدة! أما لو كشف المستور من أول لحظة فلن تدخل فتاة واحدة المدرسة الثانوية، ويبوء المخطط كله بالخسران!

كانت هيئة التدريس نسوية خالصة، فيما عدا مدرس اللغة العربية لتعذر وجود مدرسات للغة العربية يومئذ. ولكنه كان يختار من الرجال المتقدمين في السن، المتزوجين، المشهود لهم حقًا بالصلاح والتقوى، فهو بالفعل أب يرعى بناته، ويشعرن نحوه بما تشعر به الفتاة نحو أبيها الوقور، فتقدم له الاحترام والتوقير.

وليس في المدرسة كلها رجل آخر إلا كاتب المدرسة، وهو

منعزل عن المدرسة كلها في مكتب خاص لمقابلة أولياء الأمور، والقيام بالأمور الكتابية والحسابية للمدرسة، وحارس الباب، وهو كذلك رجل وقور متقدم في العمر تقول له البنات [يا عم!] إذا حدث على الإطلاق أن وجهن له الكلام!

■ وكانت الفتيات يحضرن إلى المدرسة في عربات مغطاة بالستائر، ويعدن إلى بيوتهن بالوسيلة نفسها. فأما إن كان أهل الفتاة لا يريدون أن يتحملوا نفقات العربة، فيأتي معها ولي أمرها يسلمها إلى المدرسة صباحًا ويستلمها في نهاية اليوم المدرسي، لكي لا يتركها تسير وحدها في الطريق.

أي شيء يريد الآباء أكثر من ذلك؟!

بل إن [حضرة الناظرة] لهي أشد في تأديب البنات من أولياء أمورهن! إنجليزية يا أخي! الإنجليز حازمون في التربية! قل ما تشاء فيهم، ولكن في التربية..!

■ وكانت المناهج في مدارس البنات رجالية في الحقيقة لأمر يراد فيها بعد.. ولكنها بعد مغطاة.. فالفتاة تدرس المناهج نفسها المقررة في المدارس الثانوية للبنين، ولكنها تدرس إلى جانبها مواد [نسوية] كالتدبير المنزلي ورعاية النشء.. وذلك للإيهام بأن المقصود من التعليم في هذه المدارس هو إعداد الفتاة لحياة

الأسرة التي تنتظرها. إذ كانت أشد نقط المعارضة في تعليم البنات بعد المرحلة الابتدائية أن الدراسة الثانوية ستعطل الفتاة عن الزواج ـ وهي في سن الزواج ـ وتبعدها عن جو البيت الذي خُلقت له، والذي ستقضي بقية حياتها فيه..

● فأما تعطيل الفتاة عن الزواج فقد واجهه أصحاب [القضية] بالمطالبة بإرجاء سن الزواج، وتحريم الزواج قبل سنّ السادسة عشرة (وصدر تشريع بذلك) ومحاولة تزيين هذا التأخير بمختلف الحجج، حتى صار أمرًا واقعًا فيما بعد، لا عند السادسة عشرة، بل عند الثلاثين وما بعدها في بعض الأحيان!

● وأما إبعاد البنت عن جو البيت فقد واجهه أصحاب القضية بتلك الدروس المتناثرة في التدبير المنزلي ورعاية النشء، وفي مقابلها تزاد سنوات الدراسة الثانوية للبنات، فتصبح ست سنوات بدلاً من خمس للبنين.

● حتى إذا هدأت ثورة المعارضين، وصار التعليم الثانوي للبنات أمرًا واقعًا بعد المعارضة العنيدة التي كانت من قبل، أخذت هذه الدروس النسوية تتضاءل، حتى محيت في نهاية الأمر، وأصبح المنهج رجاليًّا خالصًا في مدارس البنات.. وألغيت السنة السادسة، وأصبحت الفتاة تتخرج بعد خمس

سنوات على المناهج ذاتها التي يتخرج عليها الفتى.. **لتصبح للفتاة قضية جديدة.. قضية الدخول إلى الجامعة!**

ولكن.. لا نسبق خطى التاريخ!

* * *

■ تعددت مدارس البنات الثانوية في القاهرة ثم في الأسكندرية ثم في غيرها من المدن.. وخفت قبضة الناظرة الإنجليزية فلم يعد يهمها إلا [النظام] الصارم في داخل المدرسة. أما [أخلاق] البنات فلم تعد تعيرها اهتمامًا، كما كانت من قبل. وجاءت بعدها ناظرات مصريات، أقل انضباطًا من ناحية النظام، وأقل اهتمامًا بقضايا الأخلاق.

وسارت الأمور فترة من الزمن سيرها الرتيب، وكثر الإقبال على مدارس البنات حتى ضاقت بهنّ، فقامت إلى جانبها مدارس أهلية تسير على المنهج ذاته، وتحقق الأهداف ذاتها. واطمأن الناس اليوم على بناتهم فلم يعودوا يصحبونهن في الذهاب والإياب.. وأصبحت أفواج البنات تذهب في الطرقات وحدها وتجيء.

● ولكن.. هل كان يمكن أن تستمر الأمور في داخل هذا النطاق المحدود؟!

يوجد دائمًا في كل مجتمع فتاة [جريئة] وفتى [جريء]![1] يخرجون على تقاليد المجتمع ويتحللون منها. .

وفي المجتمعـات المتماسكة يكون نصيب هؤلاء هو الردع الفوري، الذي يمنع العدوى، ويقضي على الجرثومة قبل أن يستفحل أمرها. أما في المجتمعات المفككة فلا يحدث الردع المطلوب، أو لا يحدث بالقوة الحاسمة التي تؤتي أثرها، فتظل الجرثومة باقية، وتظل تنتشر حتى يحدث الوباء.

لذلـك مدح الله خير أمـة أُخرجت للناس بقوله تعالى: **﴿كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجتْ للنَّاس، تأْمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عنِ المنكرِ وتؤمنونَ الله﴾**[2].

ولعن شرّ أمةٍ أُخرجت للناس بقوله تعالى: **﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسانِ داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهوْنَ عن منكرٍ فعلوه. لبئس ما كانوا يفعلون﴾**[3].

(١) أقيمت في شواطىء الاسكندرية (ونشرتها الصحف!) مسابقة بعنوان [أبو عيون جريئة]! يكون الفائز فيها هو أوقح الشبان وأقلهم حياء وأدبا!

(٢) سورة آل عمران [١١٠].

(٣) سورة المائدة [٧٨-٧٩].

■ وفي المجتمعات التي تتحول فيها القيم والأخلاق إلى [تقاليد] خاوية من الروح، يحدث الإنكار، ويحدث الاحتجاج، ولكن لا يحدث الردع الحاسم الذي يقتل الجرثومة قبل أن تستفحل، فتبقى، ثم تنتشر في خطى بطيئة ولكنها أكيدة المفعول!

وهذا هو الذي حدث في المجتمع المصري أمام الغزو الفكري الصليبي في القرن الرابع عشر الهجري، وفي المجتمع الإسلامي كله.. كانت هناك بقايا قيم وبقايا دين.. ولكنها كانت تقاليد خاوية من الروح، فلم تستطع أن تصمد طويلاً أمام الغزو الكاسح، الذي يزين الفساد للناس باسم الرقي والحضارة والتقدم و[التحرر] من الرجعية والتحرر من الجمود.

بدأت أول فتاة [جريئة] تلتفت برأسها حين يلقي إليها الفتى [الجريء] بألفاظ الغزل المستور أو المكشوف.

● وتسقط الفتاة الجريئة في نظر المجتمع من أجل هذه الالتفاتة، وتعتبر فتاة فاسدة الأخلاق، ولكنها لا تردع! ولا يردع الفتى الجريء الذي ألقى بألفاظ الغزل على قارعة الطريق.. فيتكرر النموذج من هنا ومن هناك.. وتتبلد أعصاب الناس على المنظر المكرور.. وتصبح ظاهرة [معاكسة]

[بنات المدارس] ظاهرة مألوفة في المجتمع المصري، لا يتحرك لها أحد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ويفرح الشياطين!

ورويدًا رويدًا تتغير ملابس بنات المدارس!

تقصر [المريلة] قليلاً.. هل هناك مانع؟! الجورب يغطي ما كشفته [المريلة] فماذا يحدث؟!

ويقصر الكم قليلاً.. هل هناك مانع؟! سنتيمترات قليلة لا تقدم ولا تؤخر.. ماذا يحدث؟! هل تخرب الدنيا إذا قصرت الأكمام قليلا أو قصر [الذيل]! لا تحبكوها أيها المتزمتون!

وتتبلد الأعصاب على المنظر المكرور، فتقصر الأكمام بضعة سنتيمترات أخرى، أو يقصر الذيل، أو يقصر الجورب.. وينكشف من المرأة ما أمر الله بستره بالمقدار نفسه!

أفّ لكم أيها المتزمتون تفتأون تذكرون الأخلاق وتنادون بالويل والثبور! ماذا حدث للأخلاق حين تراجعت الملابس بضعة سنتيمترات؟ هل تقاس الأخلاق بالسنتيمتر أيها الجامدون؟ الأخلاق قيم (!!) والقيم محلها القلب (!!) ما دامت الفتاة [مقتنعة] بالقيم في داخل نفسها فلن تفسد ولو سارت عارية في الطريق.

* وحين تكثر الفتيات في الشوارع حاسرات مقصرات، سواء

من بنات المدارس الثانوية أو مدارس المعلمات، أو من خريجات المدارس الأخيرة اللواتي صرن معلمات، وصارت لهن رواتب خاصة يستطعن الإنفاق منها على حوائجهن.

عند ذلك تبدأ [الموديلات] في الظهور. . وتصبح هناك صحافة نسوية تتخصص في عرض [المودات] أو ركن في المجلات والصحف العامة يسمى [ركن المرأة] يقدم النصائح ويقدم [المودات].

فأما النصائح فتبدأ في غاية [العفة] وفي غاية الإتزان!

■ كيف تحافظين على محبة زوجك؟!

وهل يكره الإسلام أن تتحبب المرأة إلى زوجها وتتجمل له وتتزين؟!

نحن فقط نقدم النصيحة مصورة! لأننا في زمن الصحافة المصورة التي توضح كل شيء بالرسم!!

وحين تستقر هذه الخطوة نتقدم خطوة أخرى إلى [الأمام]! تمهيدًا [لتحرير] المرأة من قيد آخر من قيود الدين والأخلاق والتقاليد!

لقد كان الزوج في المرحلة الأولى هو [المحلل]. . وانتهت

مهمته فلنكن الآن صرحاء!

كيف تجذبين انتباه الرجل؟!

نعم! وماذا فيها؟!

ألا تتزين ليقع في شباكها [ابن الحلال]؟!

فإن لم يقع [ابن الحلال] فمزيدًا من التزين..

هذا فستان يكشف [مفاتن الصدر] وهذا يكشف [مفاتن الظهر] وهذا يكشف [مفاتن الساقين]![1]

وتتطور [المودة] العالمية وتتطور، حتى تكشف مفاتن الجسم كله بجميع أجزائه، وتتبعها الصحافة المصرية شبرًا بشبر وذراعًا بذراع. **[حتى إن دخلوا جحر ضب دخلتموه]!**[2].

* * *

■ وجاء دور الجامعة

كنتم أيها المتزمتون تعارضون في تعليم المرأة حتى في

---

(١) هذه العبارات وردت بنصها في مجلات [المودة] وفي [ركن المرأة] في المجلات التي تخصص ركنا للمرأة.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى إن دخلوا جحر ضب دخلتموه. قالوا من يا رسول الله؟ قال: اليهود والنصارى] أخرجه الشيخان.

المرحلة الابتدائية! وكنتم تقولون إنها لا تصلح إلا للبيت، وليست لديها القدرة على التعليم.. واليوم تتحداكم الفتاة المتعلمة! ها هي ذي قد تعلمت على المناهج ذاتها التي يتعلم عليها الفتى،[1] ووصلت إلى المرحلة الثانوية. وهي لم تلحق به فحسب، بل تفوقت عليه في كثير من الأحيان![2].

● والآن صار من حقها أن تدخل الجامعة.. فماذا أنتم قائلون أيها الرجعيون!

ودارت معركة طويلة بين المدافعين والمعارضين كتلك التي قامت في أوروبا من قبل..[3]

وقال المدافعون: إنه الدور نفسه! إن المرأة قضيتها واحدة في كل بلاد العالم. وستسير في الخطوات نفسها. ونتيجتها في النهاية واحدة. هي النتيجة التي وصلت إليها أوروبا، التي

---

(١) هذه هي [حكمة] تعليم الفتاة على منهج الفتيان، ليصبح هناك وجه لقضية [المساواة] بين الجنسين، التي تصل في النهاية إلى المساواة في [حق] الفساد! وهناك حكمة أخرى لا تقل عنها حكمة هي إلغاء [قوامة] الرجل على المرأة أو خلخلة أساسها على الأقل بعد أن [يتساويا] في نوع التعليم!

(٢) كان هذا التفوق يحدث بالفعل لأن الأولاد ينشغلون بالشارع والنادي والمقهى ورفقة الأصحاب، بينما البنات في البيوت متفرغات لمراجعة الدروس، فضلا عن روح التحدي التي تحفز المرأة لتحدي الرجل.

(٣) تحدثت عن هذه المعركة في كتاب [مذاهب فكرية معاصرة].

سبقت العالم كله بقرن من الزمن أو أكثر، وخاضت المرأة فيها المعركة ذاتها، وخرجت منها منتصرة في النهاية.

وفي ظاهر الأمر كان الذي يقوله المدافعون أمرًا واقعًا في كثير من بلاد الأرض. ولكنهم كانوا غافلين عن أمور..

كانوا غافلين أولا عن أن القضية لم تأخذ شكلاً واحدًا في كل الأرض بسبب طبيعتها لاخاصة كما توهموا، ولكن لأن الأجهزة العالمية التي تدير القضية لحسابها الخاص قد جعلتها تأخذ هذه الصورة لأمر تريده.[1]

وكانوا غافلين ثانيا عن أن قضية المرأة المسلمة ليست هي قضية [أختها] الأوروبية! [فأختها] الأوروبية - ولا أخوة في الحقيقة لأن المسلمة لا تؤاخي المشركة - قد صارت لها قضية لأنه ليس لمجتمعها منهج رباني يسير عليه، إنما يشرع فيه البشر لأنفسهم، فيظلمون أنفسهم ويظلمون غيرهم. وقد وقع الظلم هناك من تشريع - أو عرف - وضعه البشر، ثم اختاروا - أو اختار لهم الشياطين في الحقيقة - حلا ساروا فيه حتى أوصلهم في النهاية إلى الخبال، من تفكك الأسرة، وتحلل المجتمع، وشقاء الرجل والمرأة كليهما، وتشرد الأطفال، وجنوح

(١) راجع إن شئت فصل [دور اليهود في إفساد أوروبا] من كتاب [مذاهب فكرية].

الأحداث، وانتشار الشذوذ، والأمراض النفسية والعصبية والقلق والجنون والانتحار والخمر والمخدرات والجريمة.

● أما المرأة المسلمة فقضيتها أن الظلم [redacted] وقع عليها من مخالفة المنهج الرباني الذي التزم به مجتمعها عقيدة ولم يلتزم به عملاً، وارتد في هذه النقطة بالذات إلى أعراف الجاهلية الفاسدة.

وقد يكون الظلم واحدًا أو متشابهًا، ولكن العلاج يختلف لاختلاف الأسباب.

فعلاج القضية بالنسبة للمرأة المسلمة هو الرجوع إلى المنهج الرباني الصحيح، والالتزام به عقيدة وعملاً. وليس علاجه هو اتباع الخطوات التي سارت فيها القضية في الغرب، فخرجت من تخبط إلى تخبط ولا تزال..

وحقيقة إن المنهج الرباني هو العلاج لكل مشكلات البشرية، ولو آمنت به أوروبا ونفذته لحلت كل مشكلاتها. ولكن الذين ينفذونه بالفعل. أو المفروض أن ينفذوه - هم الذين التزموا به فعلاً - أي المسلمون - فإذا حادوا [redacted] فإن مهمة [المصلحين] هي تذكيرهم به، ودعوتهم إلى العودة إليه ليطبقوه في عالم الواقع، فتنحل مشكلاتهم وينصلح حالهم.

أما اتباع أوروبا، وسير المرأة المسلمة في الخطوات ذاتها

التي سارت فيها [أختها] الأوروبية فلن يحل مشكلتها، كما لم يحل مشكلة [أختها]، وسيصل بها وبمجتمعها ـ وقد وصل بالفعل ـ إلى المصير البائس ذاته الذي وصل إليه مجتمع [أختها] من قبل.

● ولكن المدافعين يومئذ لم يكونوا يفقهون شيئا من ذلك كله..

وهم يومئذ أحد فريقين: فريق يعلم جيدا أن الطريق الذي تسير فيه [القضية] سيؤدي إلى انحلال أخلاق المجتمع وتفككه كما حدث في أوروبا، وهو يريد ذلك ويسعى إليه جاهدًا لأنه من **الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا**[1]

وفريق آخر مخدوع مستغفل لأنه مستعبد للغرب، لا يرى إلا ما يراه الغرب، ويظن ـ في غفلته وعبوديته ـ أن سيده دائما على صواب!

وهذا وذاك مسخران معا لخدمة الصليبية في المجتمع الإسلامي،[2] وخدمة اليهودية العالمية كذلك[3].

---

(١) قال تعالى:
﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ [سورة النور: ١٩]

(٢) إلا أن يكون هو ذاته صليبيا كسلامة موسى فهو يشارك في تنفيذ المخطط الصليبي مدفوعا بصليبيته الذاتية.

(٣) كان لليهودية مشاركة ضخمة في تحطيم الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي لأهداف عدة من بينها إنشاء الدولة اليهودية في الأرض الإسلامية.

وقال هذا وذاك إن [قضية المرأة] تستلزم أن تدخل الفتاة الجامعة لتؤدي [رسالتها] على الوجه الأكمل!

وقضية التعليم - الجامعي أو غيرالجامعي - ليست هي القضية بالنسبة للمرأة المسلمة، فلن يمنعها الإسلام من طلب العلم، وهو الذي يدعوها إليه بل يفرضه عليها. ولكن الإسلام يشترط في تعليمها - وفي نشاطها كله - شرطين اثنين: أن تحافظ على دينها وأخلاقها، وأن تحافظ على وظيفتها الأولى التي خلقها الله من أجلها، وهي رعاية الأسرة وتنشئة الأجيال. وفي حدود هذين الشرطين تتحرك حركتها كلها، وهي حدود واسعة سَل عنها الصحابيات الجليلات رضوان الله عليهن.

ولكن عُبَّاد الغرب وشياطينه لم يكونوا يريدون شيئا من ذلك بطبيعة الحال وهم يطالبون للفتاة المسلمة بالتعليم الجامعي وما تبع ذلك من [قضايا]!

فأما الشياطين فإنهم ما جاءوا يبتغون الإصلاح.. إنما جاءوا للتخريب بادىء ذي بدء.

وأما العُبّاد فليس لهم إلا طريق واحد، لا يرون غيره، ولا يستطيعون رؤية غيره، لأنهم عبيد. والعبد لا يرى إلا ما يراه

سيده له، بل يعتقد في دخيلة نفسه أن مجرد اتجاه فكره إلى شيء غير ما يراه السيد هو إثم غير مغفور!

* * *

■ دارت المعركة، وطالب المدافعون عن قضية المرأة أن يسمح لها بدخول الجامعة أسوة بالرجل ومساواة له.

وقال المعارضون إن الفتاة لا تصلح للتعليم الجامعي أصلا لأنه لا يناسب طبيعتها، وسيؤثر على أنوثتها، فضلاً عن أنه سيشغلها عن الزواج ويعطلها عنه عدة سنوات، وسيصرفها عن الأسرة والبيت ـ مهمتها الأصلية ـ وفوق ذلك كله فهناك مشكلة الاختلاط الذي لابد أن يحدث في الجامعة، وهو أمر يخالف الدين والأخلاق والتقاليد.[1]

واستغرقت المعركة ردحًا من الزمن غير قليل. وتقاذف الفريقان الاتهامات الحادّة، وضاعت حقائق كثيرة في وسط المعركة كانت على الأقل تستحق دراسة متأنية ليتخذ فيها القرار على بصيرة.

فأما المدافعون فالمسألة عندهم منتهية لا حاجة فيها إلى التوقف والدرس. فهم مدفوعون دفعا ـ بوعي منهم أو بغير وعي

---

(١) لم يفكر أحد في إقامة جامعة نسوية خاصة!

ـ إلى تخريب المجتمع الإسلامي وتدميره، بل مدفوعون دفعا إلى استخدام [قضية المرأة بالذات لإحداث هذا التدمير.

● **وأما المعارضون فمن أي منطلق ينطلقون؟**

كان ظاهر الأمر أنهم ينطلقون من منطلق إسلامي.. وقد كثر في كلامهم بالفعل ذكر الدين والأخلاق والتقاليد.. **ولكن هل كانوا على وعي حقيقي بالإسلام؟**

لقد كان وعيهم به ضئيلا في الحقيقة.. **وكان إخلاصهم للتقاليد أعمق في حسهم من الإخلاص للدين!** أو قل: إن التقاليد التي كانوا يحرصون عليها ويدافعون عنها كانت مختلطة في حسهم بالدين، ومن ثم كان يختلط عليهم الإخلاص للتقاليد بالإخلاص للدين!

ولكنها لم تكن في الحقيقة تقاليد إسلامية.. إنما كانت تقاليد جاهلية ارتدت إليها المرأة المسلمة في فترة تخلفها العقدي، ثم اختلطت في حسها بالإسلام، وظن المدافعون عنها بإخلاص أنهم يدافعون عن الدين!

وكانت عنجهية الرجل ولا شك عنصرا من عناصر القضية..

كان يجب أن يتميز وينفرد بأشياء، سواء كانت مما ميزه الله به حقيقة أو بما ميزته به الجاهلية، ويختلط الأمران معا في حسه، فيعتقد أنهما - كليهما - من صميم الدين، وأنه حين يدافع عن مركزه المتميز، ويدفع المرأة عن اللحاق به، يدافع عن الدين!

ولم يفت المدافعين عن [قضية المرأة] أن يستغلوا نقطة الضعف هذه في موقف المعارضين، وأن يستغلوها إلى آخر المدى.. فدعوا إلى إخراج الدين كله من القضية، والحديث عنها على أنها قضية تقاليد.. وحين تكون على هذه الصورة، فهي إذن تقاليد عتيقة بالية، ينبغي أن تحطم ويستبدل بها تقاليد جديدة.. عصرية تقدمية متطورة.

وبطبيعة الحال لم يرض المتدينون والحريصون على الأخلاق عن حصر القضية في محيط التقاليد وإخراجها من دائرة الدين، كما كان أعداؤهم يدعونهم كلما احتدمت المعركة بقولهم: لا تزجوا بالدين في كل الأمور! فالدين لا علاقة له بهذه الأمور!!

ولكنهم في النهاية انهزموا وتراجعوا.. ثم صمتوا.. وتقرر الأمر الذي خطط له المخططون، فأصبح [أمرا واقعا] رضي المتدينون أو كرهوا، وأعلنوا رأيهم أو صمتوا عنه.

لماذا حدث ذلك؟!

لم يكن [التطور العالمي] كما توهم المتوهمون. ولم يكن ضغط الحضارة الغربية. ولم يكن [الحق] الذي كان مغلوبا، ثم انتصر كما أذاع المدافعون عن قضية المرأة. ولم تكن [طبيعة القضية] وكونها قضية عالمية لابد أن تأخذ مجراها في كل الأرض.. بل لم يكن الغزو الفكري في ذاته هو الذي جعل الأمور تأخذ هذه الصورة..

إنما كان قبل كل شيء: الهزيمة الداخلية الناشئة من الخواء، الناجم بدوره عن التخلف العقدي، والانبهار بما عند الغرب، والظن بأنه لابد أن يكون صوابا ما دام آتيا من عند الأقوياء الغالبين!

نعم، إنها الهزيمة الروحية هي التي مكنت للغزو الفكري، وهي التي جعلت كل ما يخططه المخططون يَنفُذُ كأنه أمر حتمي لا مرد له، ولا طاقة لأحد بالوقوف في طريقه!

وما كان شيء من ذلك ليحدث لو أن المسلمين كانوا على إسلام صحيح.

فالعقيدة الحية المتمكنة من القلوب لا تقهر، ولا يتخلى عنها أصحابها مهما وقع عليهم من الضغوط.(١)

(١) انظر ما وقع من الضغوط على الجماعة المسلمة في مكة، وانظر ما يقع اليوم من المذابح البشعة لإخماد الصحوة الإسلامية وهي مع ذلك لا تخمد.

والاستعلاء بالإيمان يقي الناس من الذوبان في عدوهم ولو انهزموا أمامه في المعركة الحربية.

والغنى النفسي الذي يحدثه الإيمان الحق بالله، والغنى الواقعي الذي يحدثه التطبيق الصحيح للمنهج الرباني، يجعل المسلم ـ فردا وجماعة ومجتمعا ودولة ـ في غنى عن الاقتراض في عالم القيم والمبادىء ـ فضلا عن التسول! ـ وإذا احتاج لشيء من أمور الدنيا يفتقده عنده فإنه يأخذه في استعلاء المؤمن، ويطوعه لمنهجه الرباني، ويصبح مالكا له لا مملوكا له.

وما كان الغزو الفكري ليتسرب إلى نفوس المسلمين ـ لو كانوا على إسلام صحيح ـ ولا إلى عقولهم وأفكارهم ومشاعرهم، حتى يزيلهم عن قاعدتهم، ويجرفهم في التيار.. غثاء كغثاء السيل، كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.

وما كان ضغط الحضارة الغربية ليجلي المسلمين عن مواقعهم، وهي حضارة زائفة ممسوخة في عالم القيم، على الرغم من كل التقدم العلمي والمادي والتكنولوجي الذي تشتمل عليه. وقد كان المسلمون قمينين أن يأخذوا كل التقدم العلمي والمادي والتكنولوجي الذي يحتاجون إليه ـ كما أخذوا من الروم

والفرس أول مرة ـ دون أن يفقدوا إسلامهم، أو يتخلوا عن ذاتيتهم، أو تختلط القيم والموازين في حسهم.

وما كان [التطور العالمي] ليغلب المسلمين على أمرهم.. فهو ليس[حتمية] حقيقية كما خيل اليهود للبشرية ليدفعوها في المسار الذي جرفوها إليه. إنما انجرفت أوروبا في تيار التطور اليهودي لخوائها من العقيدة الصحيحة، ولأن عقيدتها الممسوخة لم تكن تصلح للحياة، ولا كانت تقدر على الصمود أمام كيد اليهود.(١) ولكن المسلمين كانوا قمينين أن يصمدوا ولا ينهزموا أمام [التطور] المزعوم، الذي انتكس فيه [الإنسان] أكبر نكسة وقع فيها في تاريخه كله، في مجال القيم والأخلاق والمبادىء، بل في مجال [إنسانية الإنسان] ذاتها، بالرغم من البريق الخاطف، وعلى الرغم من كثرة ما قيل في هذا العصر عن [إنسانية الإنسان]..! كان المسلمون قمينين أن يصمدوا ولا ينهزموا لأنهم يملكون العقيدة الصحيحة من جهة، ولأنهم هم المؤهلون أن يقفوا للكيد اليهودي من جهة أخرى، لأن الله وعدهم بالنجاة من ذلك الكيد إن استقاموا على الشرط: «**وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا**»(٢).

(١) راجع إن شئت فصل [دور اليهود في إفساد أوروبا] من كتاب [مذاهب فكرية معاصرة].

(٢) سورة آل عمران [١٢٠].

بل كان المسلمون قمينين أن يصححوا أفكار البشرية الزائغة إزاء لوثة الداروينية، ولوثة التطور، ولوثة المادية، ولوثة التفسير الجنسي للسلوك البشري، والتفسير الآلي للحياة، ولوثة [التحرر] من كل القيم، ولوثة إخراج المرأة من بيتها ووظيفتها، لتكدح وتشقى من أجل لقمة العيش، وتتبذل وتفسد، وتفسد المجتمع كله معها في نهاية الأمر..

لو كانوا على إسلام صحيح!

● ولكنهم لم يكونوا.. فأصابهم ما أصابهم.. وبدلا من أن يصححوا للبشرية منهج حياتها، ويهدوها إلى المنهج الحق، تخلوا هم عن منهجهم الرباني، وراحوا يلهثون لهثا وراء الجاهلية الأوربية، يستأذنونها في مذلة أن تسمح لهم باللهث وراءها، ولا تحتقرهم ولا تستصغرهم إلى أن يتمكنوا من اللحاق بها في آخر الشوط!

وذلك هو التفسير الحقيقي لما حدث في قضية المرأة، وكل القضايا الأخرى التي ألمت بالمسلمين في أثناء [نهضتهم] المعاصرة!

* * *

■ **دخلت المرأة الجامعة لا [لتتعلم] فقط.. ولكن [لتتحرر].**

لتتحرر من الدين والأخلاق والتقاليد!!

فقد قيل لها - كما قيل للمرأة الأوروبية من قبل - إن التعليم.. والاختلاط.. والحرية.. و[التجربة] كلها [حقوق] للمرأة، كان الدين والأخلاق والتقاليد تمنعها من مزاولتها.. واليوم ينبغي أن تحطم الحواجز كلها لتحصل المرأة على مالها من حقوق.

وبطبيعة الحال لم تكن هناك طفرة.. إنما جاء كل شيء بالتدريج.. وما كان المخططون يتوقعون أن تحدث الطفرة - وإن تلهفت قلوبهم لمشاهدتها - ولا كان ذلك ممكنا في عالم الواقع.

● لقد دخلت أربع فتيات كلية الآداب في [الجامعة المصرية] مقتحمات كل الحواجز القائمة يومئذ، والمجتمع كله - بين مؤيد ومعارض - يرقب التجربة الجديدة، وما يمكن أن تسفر عنه.

وكان هناك - طبعا - قدر من الأدب، وقدر من الحياء، وقدر من الاحتشام، سواء من جانب الفتيات الأربع، أو من جانب الطلاب في مدرجات الجامعة وأفنيتها، والجو كله مملوء بالحذر والترقب.

ومع ذلك كله كتبت أمينة السعيد في مذكراتها التي نشرتها لها [الهلال] ـ وهي إحدى الفتيات الأربع اللواتي [اقتحمن] الحواجز، ليثبتن جدارة الفتاة المصرية بكذا وكذا مما أثبتن جدارتهن به! ـ كتبت تقول: إنه في الاختبار الشفوي في آخر العام كانت اللجنة ـ في اختبار اللغة الإنجليزية ـ مكونة من أستاذ إنجليزي وأستاذ مصري، وإن الأستاذ الإنجليزي ابتدرها في الاختبار بسؤالها عن رأيها في الحب!

تقول إنها من جانبها تلعثمت في بادىء الأمر. وإن الأستاذ المصري غضب حتى احمر وجهه من الغضب، وغادر اللجنة، فقال لها الأستاذ الإنجليزي: لا عليك منه! استمري!

وتقول: إنها وجدت نفسها تنطلق في الحديث ـ عن الحب ـ بلا تلعثم ولا حياء! وهو المطلوب!

* * *

● لم تكن الجامعة المصرية ـ كما كانت جامعة القاهرة تسمى في ذلك الحين ـ قد أنشئت لترعى القيم الإسلامية، ولا لترعى تنشئة الشبان والفتيات تنشئة إسلامية.

إنها كانت قد أنشئت لتكون منبراً [حرًّا].. يهاجم منه

الدين والأخلاق والتقاليد مهاجمة شفوية وعملية كلما أمكن، مع الحـذر من الخـروج السـافر دفعة واحدة، حتى ترسخ أقدام الجـامعـة، وتصبح معلما ثابتا من معالم الحياة المصرية.. فلا عليها بعد ذلك أن تفعل ما تشاء علانية بدون مواربة، فلن يصيبها يومئذ ما يقتلع جذورها بعد أن تثبت وتستقر.

كانت مدرسة المعلمين العليا ـ الدنلوبية ـ قد استنفذت أغراضها في تخريج المدرسين الذين سيوالون تعليم الأجيال فترة غير قصيرة من الزمن، يبثون فيهم ما بُث فيهم من قبل من نفور من الدين وأهله، وانسلاخ من آدابه وقيمه، وعبودية مقنعة أو سافرة للغرب.

واليوم يراد توسيع الـدائـرة.. فالمدرسون مهمون نعم، ومـطلوبـون نعم، ولكن المدرس بطبيعة نشأته محدود الأفق، محصور في دائرته لا يغادرها، تتحول حياته بعد حين إلى رتابة مملة، فينغلق على نفسه، ويفقد حيويته وخصوبة فكره.. إلا النادر القليل.

ونـريد اليوم أن يكون لدينا [مفكرون].. [أحرار].. لينشروا [حـريـة الفكـر] على مستوى المجتمع كله.. رجاله ونسائه وكل من فيه.

ومدرسة المعلمين العليا بكل ما قدمت من [خدمات] عاجزة بطبيعة تكوينها عن أداء هذه المهمة الخطيرة.. إنما الذي يقدر على ذلك هو الجامعة.

ومن هنا كانت الجامعة محددة الأهداف - عند مخططيها - من أول لحظة.

ولقد فرح الناس بها فرحا شديدا عند مولدها، وأقبل الشباب عليها بلهفة وتشوق، لأنها - في ظاهرها - كانت خطوة تعليمية وثقافية ضخمة، سدت ثغرا كانت موجودة في الحياة المصرية، بعد تجمد الأزهر، وانصراف الناس عنه، والعزلة التي فرضها عليه دنلوب.. ثم لأمر آخر كان يخالج تلك النفوس ويزيد من فرحتها: لقد صرنا الآن مثل أوربا.. صارت لدينا جامعة!

■ ولم يكن كثيرون يتوقعون أن تصبح الجامعة منبرا لمهاجمة الإسلام، ولتخريج شباب يستخفون علانية بكل القيم الدينية، يستخفهم الغرور العلمي - أو الجهلي! - متكئين إلى أنهم [خريجو الجامعة] أي [الطراز] الحديث! - فليس لأحد أن يتصدى لهم أو يناقشهم أو يخطئهم.. وإلا فهو جاهل رجعي متخلف.. فهنا - في الجامعة - وهنا فقط، يوجد العلم الحق،

والأفق الـواسـع، والفكـر المتحرر، والنظرة التقدمية، والروح العلمية، وإرادة الحياة الحرة.. وفي كل مكان آخر ـ أيا يكن ذلـك المكان ـ توجد الرجعية والجمود والتأخر، والعفن المنتن الذي خلفته عصور الانحطاط، والجهل الفاضح الذي يعيش في الظلمات، غير منفتح على تيار الحياة الحي.. ويكفي أهله سوءا وجهالة وتخلفا أنهم لا يعرفون [لغة أجنبية]![1].

ولعل الناس فوجئوا ـ في أول الأمر ـ بالمستشرقين الذين يقـدحـون في الإسلام، ويشوهون صورته، ويهاجمونه جهرة، أسـاتـذة في كلية الآداب يدرسـون أفكارهم للطلاب، تحت إشراف طه حسـين [عميد الأدب العربي] ورئيس قسم اللغة العـربية يومئـذ، ومن بينهم المستشرق اليهـودي [مرجوليوث] الـذي كان يقول إن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجهول النسب! فقد كانت العرب تطلق على من لا تعرف نسبه اسم عبدالله، ومن ثم فمحمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(١) ربما لا يعلم كثير من القراء أنني من خريجي تلك الجامعة، ومن دارسي اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي فيها، فلست أصدر فيها أقرر هنا عن عصبية معهدية ضد الجامعة! إنما هي الحقيقة التي أحسبها ـ الآن ـ لم تعد خافية! ولا ينكر أحد أنها من الناحية [الثقافية] كانت الجامعة أوسع أفقا، وخريجوها أكثر احتكاكا بالأفكار [العالمية]. ولكنها لم تكن توجه طلابها لنقد الحضارة الغربية، واختيار الصالح من ثمارها للاستفادة به في [نهضة] حقيقية، مع طرح الفاسد من هذه الثمار، إنما كانت على العكس من ذلك من أكبر أدوات [التغريب].

هو ابن رجل مجهول النسب! وهي فرية لم يقلها أحد غيره من المستشرقين![1]

■ ولعلهم فوجئوا بطه حسين الذي قال في كتاب [الشعر الجاهلي]: «للتوراة والإنجيل أن يحدثانا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما كذلك، ولكن هذا وذاك لا يثبت لهما وجودا تاريخيا!»[2] يصبح في مكان الصدارة في الجامعة الجديدة، ثم يقول في فترة لاحقة، في كتابه [مستقبل الثقافة في مصر]: إن مصر لم تكن قط جزءا من الشرق، وإنما كانت دائما جزءا من حوض البحر الأبيض المتوسط، وكل ما جاءها من الخير جاءها من حوض البحر الأبيض المتوسط، وكل ما جاءها من الشر جاءها من الشرق!

ولعلهم فوجئوا بمن يقول إن قصص القرآن الكريم قصص «فني.. يعني لا يتحدث عن حقائق تاريخية وأشخاص

---

(١) انظر فصل «الديانة المحمدية Mohamedanism » تأليف مرجوليوث، في موسوعة تاريخ العالم: Universal History of the World .

(٢) الأفكار الرئيسية في هذا الكتاب ـ وهي القول بأن الشعر الجاهلي الحقيقي كان أبلغ من القرآن، ولذلك طمس عليه المسلمون، وانتحلوا شعرا أقل منه بلاغة ونسبوه إلى الشعراء الجاهليين، «ليزعموا» بعد ذلك أن القرآن أبلغ من الشعر الجاهلي! هي أفكار مرجوليوث المشار إليه، انتحلها طه حسين! وقد صودر هذا الكتاب حين أثار ما أثار من ضجة، ولكن طه حسين سئل في حديث صحفي أجراه معه محمود عوض في مجلة صباح الخير قبل وفاة طه حسين بعام واحد عن أفكاره في هذا الكتاب فقرر أنه ما زال مؤمنا بكل حرف فيها!

حقيقيين.. إنما هي قصص فنية، مبتدعة من الخيال لأغراض فنية!»[1].

وفوجئوا.. وفوجئوا.. وفوجئوا.. وثارت ثائرة من ثار منهم.. ولكنها ثورة أضعف من أن تغير شيئا من الواقع. ومضى الواقع الجديد يثبّت أركانه، يمدّ له المخططون من وراء الستار، وتتبلد عليه مشاعر الناس.. حتى جاء الوقت الذي أصبح [الناس] هم أنفسهم خريجي الجامعة (أو الجامعات فيما بعد).. فتجانست الأفكار والتصورات والدوافع وأنماط السلوك! ولم يعد شيء مما يجري في الجامعات يثير ما يسمى [الرأي العام]!

* * *

وإذا كانت كلية الآداب بالذات قد خُصصت [لتفريخ] مثل هذه الأفكار والتصورات، وتخريج [مفكرين أحرار] يقومون [بواجبهم] في إزالة [العفن] و[النتن] من الأفكار والعقول، ليضعوا بدلا منها المفاهيم الغريبة عن الدين والأخلاق والتقاليد، ولينشئوا مجتمعا جديدا على هدى المخططين الذين يخططون من وراء الستار، قد [تحرر] أبناؤه

(١) الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتاب «الفن القصصي في القرآن الكريم».

وبناته وصاروا [طلقاء] يفعلون بالدين ما يراد منهم . . فإن كلية الحقوق قد أنشئت لتخريج أجيال تدعو إلى القانون الوضعي ـ لأنه تخصصها الذي ربيت عليه، ولم تُعلِّم غيره، فمن الطبعي أن تتعصب له، وتعادي كل شيء غيره ـ وتبعد عن الأذهان نهائيا قضية تحكيم شريعة الله، لأنها غير واردة في أذهانهم أصلا . . ومن هؤلاء يكون رجال السياسة ورجال الحكم، والأسماء البارزة اللامعة في المجال الاجتماعي .

■ أما الكليات العملية فهي تخرج الفنيين من أطباء ومهندسين وزراعيين وغيرهم . . ولكنها تخرجهم على الطريقة الغربية البحتة، أي [علمانيين][1] لا يطيقون الحديث في أمور الدين ـ فضلا عن أن يتدينوا هم أنفسهم ـ لأنهم طلاب [علم] والدين خرافة، ولأنهم [واقعيون] والدين أساطير، ولأنهم [عقول مفكرة] لا ينبغي لها أن تتدنى إلى مستوى العوام الذين لم يطلعوا على [الحقائق العلمية]. وفضلا عن ذلك فإنهم [يتميزون] عن أمثالهم من [العلمانيين] في الغرب، بكونهم يحتقرون لغة بلادهم، لأنها لغة متخلفة لا تصلح للعلم،

(١) لفظة «علمانية» هي ترجمة عربية مضللة لكلمة Secularism كما أشرنا من قبل، والأولى أن تسمى «اللادينية» انظر ـ إن شئت ـ فصل «العلمانية» من كتاب «مذاهب فكرية معاصرة». ومما هو جدير بالذكر أن هذه الترجمة المضللة كانت من صنع اللبنانيين المسيحيين!

ويتحدثون - من ثم - بلغة السادة المتحضرين، ويرفضون أن ينظروا في أي كلام مكتوب بالعربية، لأن العربية أصلا هي لغة الجمود والتخلف، ولو كان المكتوب بالعربية هو القرآن.. بل إن هذا الكتاب بالذات هو أشدّ ما ينفرون من قراءته أو النظر إليه!

وهكذا تتواكب الكليات وتتواكب التخصصات.. لتخرج في النهاية الجيل المطلوب لأعداء الإسلام! الجيل المتجه بكليته إلى الغرب، النافر من [الرجوع] للإسلام[1].

* * *

● وكما كان من أهداف الجامعة تخريج الجيل الجديد من [الرجال المتحررين] - الذين أداروا ظهورهم للإسلام وولوا وجوههم شطر الغرب - سواء من كلية الآداب أو الحقوق أو الكليات العملية، فقد كان من أهدافها كذلك تخريج الجيل الجديد من [النساء المتحررات] اللواتي انسلخن من الدين والأخلاق والتقاليد.. فقد كانت [الفتاة الجامعية]..

(١) لا ينفي ذلك بطبيعة الحال أن يكون من بين ذلك الجيل، أو تلك الأجيال، من لم يخضع لعملية التغريب، وبقي محافظا على إسلامه وذاتيته، ولكنهم - قبل «الصحوة الإسلامية» - كانوا قلة لا يحسب لهم حساب.

[المثقفة] . . [المتحررة] . . عنوانا للتغير المطلوب، ودافعا في الوقت ذاته إلى مزيد من [التحرر] المطلوب!

ولكن هنا تأتي وسائل الإعلام الأخرى لتمد [قضية المرأة] باللهب الدائم الذي لا يخبو أواره، حتى يتم المطلوب كله، وفي أقصى صورة ممكنة.

فلئن كان [اللهيب] قد ابتدأ ـ أو اشتعل ـ في مسرحية المظاهرة النسائية التي أحرقت الحجاب في ميدان الإسماعيلية أمام ثكنات الجيش الإنجليزي، فالصحافة المصرية ـ اللبنانية المسيحية المارونية[1] ـ تواكب [القضية] وتدفعها دائما إلى الأمام.

إن عدسة الصحافة تلاحق [الفتاة الجامعية] لترصد جميع تحركاتها . . وتختار ـ بطبيعة الحال ـ الوجوه الجميلة لتجعلها [إعلانا] عن القضية . . وتتنوع التعليقات، ولكنها كلها تبارك تلك الخطوة الجبارة التي خطتها الفتاة المصرية، والتي حطمت فيها القيود والحواجز، وأخرجت المرأة المصرية من سجن

(١) وكانت هناك كذلك صحافة «مصرية» صميمة، ولكنها كانت ـ بوعي أو بغير وعي ـ تقتفي أثر الصحف اللبنانية المسيحية المارونية التي أرست «القواعد الصحفية» في مصر، بل قد تزيد عليها تبذلا لتكسب مزيدا من القراء من «الأجيال الصاعدة» من الأولاد والبنات!

[التقاليد] المظلم، ومن عقلية القرون الوسطى المظلمة[1].. لترى النور.. لتتحرر.. لتشارك في أمور المجتمع!

وفي ظل تلك التعليقات تسنح الفرصة - وهي دائما سانحة - لمهاجمة تلك [التقاليد] التي تجعل المرأة حبيسة البيت، مستعبدة للرجل، ناقصة الآدمية، مهضومة الحقوق، لا عمل لها إلا الحمل والولادة والرضاعة و[خدمة] الرجل وتربية الأولاد..!

ولابد من وقفة هنا لبيان حقيقة، سبقت الإشارة إليها، ولكنها تحتاج إلى مزيد من الإيضاح.

إن المرأة كانت مظلومة بالفعل، وكانت تعامل معاملة سيئة بالفعل، وكانت تعيّر بأنها جاهلة، وبأن مهمتها هي أن تحمل

---

(١) تعبير [القرون الوسطى المظلمة] من تعبيرات الغزو الفكري التي تجري - بطلاقة! - على ألسنة المستعبدين للغرب، ويقصد بها - في حسهم - الإسلام! وأوروبا تصف - بحق - قرونها الوسطى بأنها مظلمة، لأنها كانت مظلمة حقا. وتقول - بحق - إن [الدين] عندها كان سبب ذلك الظلام، وإن التحرر منه هو الذي أخرجها من قرونها المظلمة، لأن ذلك الدين لم يكن ربانيا، إنما كان دينا بشريا - جاهليا - من صنع الكنيسة، يحتوي من الخرافات والخزعبلات والافتراء على الله ما لا تستسيغه فطرة سليمة ولا فكر [حر]. أما المستعبدون للغزو الفكري فينسون أولا أن هناك فارقا رئيسيا بين الإسلام - الدين الرباني غير المحرف - وبين دين الكنيسة المحرف، وينسون ثانيا أن القرون الوسطى المظلمة في أوروبا كانت هي الفترة التاريخية المشرقة بنور الإسلام، سواء في المشرق أو المغرب والأندلس، حيث تعلمت أوروبا لتخرج من الظلمات إلى النور!

وتلد ولا شأن لها بشيء آخر. وكانت هذه نظرة [جاهلية] تسربت إلى المجتمع المسلم حين تخلف عقديا، وفسد كثير من مفاهيمه الإسلامية، والجاهليات تجنح - غالبا - إلى تحقير المرأة وازدرائها، إلا أن تجنح - كالجاهلية الإغريقية الرومانية، ووريثتها الجاهلية المعاصرة - إلى تدليل المرأة وإفسادها خلقيا لتصبح مسرحا لشهوة الرجل.

وكان وضع المرأة في مصر - وفي العالم الإسلامي كله - في حاجة إلى تصحيح، لرد الكرامة الإنسانية إليها، ووضعها في المكانة اللائقة بها بوصفها [إنسانة] كرمها الله حين قرر الكرامة لكل بني آدم: [**ولقد كرمنا بني آدم..**][1] وساواها في الإنسانية بالرجل حين قرر أنه «**بعضكم من بعض**»[2]. وقرر لها احتراما وتوقيرا خاصا في وضع الأمومة من أجل ما تتكبده في الحمل والرضاعة: «**حملته أمه كرها ووضعته كرها**»[3] وجعل الجنة تحت أقدامها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان هذا الوضع المنحرف عن أوامر الإسلام وتوجيهاته هو

---

(١) سورة الاسراء [٧٠].
(٢) سورة آل عمران [١٩٥].
(٣) سورة الأحقاف [١٥].

هو الـذي فتح الثغرة للغزو الفكري، وهو هو الذي استغ
الشياطـين لينفـذوا منـه إلى المجتمع الإسلامي ـ في كل بلاد
الإسلام ـ وينفذوا مخططاتهم فيه. .

● ولـو كان المجتمـع الإسـلامي يطبق الإسـلام في صورتـه
الصحيحة فمن أين كان ينفذ الشياطين؟

كانت أوروبا ـ في جاهليتها ـ ستصيح صيحتها، و[تحرر]
نساءها من الدين والأخلاق والتقاليد، وتخرج المرأة هناك سافرة
متـبرجة عارية، وتملأ الشوارع والمصانع والمكاتب والدواوين،
وتغـرق ـ هي والـرجـل ـ في علاقـات دنسة، تدنس الجسد
والـروح، وتتفكك الأسرة، ويتشرد الأطفال، وتنتشر الجريمة
والخمـر والمخـدرات والقلق والأمـراض العصبية والنفسية
والانتحـار والجنون. . ويظل المجتمع الإسلامي في تماسكه،
ورفعته ونظافته وتطهره، ينظر رجاله ونساؤه إلى تلك الجاهلية
نظرة استنكار ونفور واستعلاء.

● وربما قال قائل: إن ما بدا اليوم من عوار الجاهلية المعاصرة
لم يكن واضحـا للعيان يوم بدأت [الحركة النسائية] في العالم
الإسـلامي، ومن ثم كان العـالم الإسـلامي عرضـة للافتتان
[بقضية المرأة] في وجهها [الإصلاحي]، قبل أن يظهر ما تحتويه
في باطنها من الفساد.

وهذا قول مردود..

ففي وقت مبكر نسبيا ـ عام ١٩٢٩م ـ كتب [ول ديورانت]، الكاتب الأمريكي، في كتابه [مباهج الفلسفة] هذه الكلمات:

«فحياة المدينة تفضي إلى كل مثبط عن الزواج، في الوقت الذي تقدم فيه إلى الناس كل باعث على الصلة الجنسية، وكل سبيل يسهل أداءها. ولكن النمو الجنسي يتم مبكرا عما كان من قبل، كما يتأخر النمو الاقتصادي... ولا مفرّ من أن يأخذ الجسم في الثورة، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعا للسخرية، ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال جمالا، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم، وتطالب النساء بحقها في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال، ويصبح الاتصال قبل الزواج أمرا مألوفا، وتختفي البغايا من الشوارع بمنافسة الهاويات لا برقابة البوليس..

«... وما يحدث من إباحة بعد الزواج فهو في الغالب ثمرة التعود قبله. وقد نحاول فهم العلل الحيوية والاجتماعية في

هذه الصناعة المزدهرة[1]، وقد نتجاوز عنها باعتبار أنها أمر مفر منه في عالم خلقه الانسان. وهذا هو الرأي الشائع لمعظم المفكرين في الوقت الحاضر. غير أنه من المخجل أن نرضى في سرور عن صورة نصف مليون فتاة أمريكية يقدمن أنفسهن ضحايا على مذبح الاباحية وهي تعرض علينا في المسارح وكتب الأدب المكشوف، تلك التي تحاول كسب المال باستثارة الرغبة الجنسية في الرجال والنساء المحرومين ـ وهم في حُمى الفوضى الصناعية ـ من حِمَى الزواج ورعايته للصحة».

«. . . حتى إذا سئمت فتاة المدينة الانتظار، اندفعت بما لم يسبق له مثيل في تيار المغامرات الواهية. فهي واقعة تحت تأثير إغراء مخيف من الغزل والتسلية وهدايا من الجوارب وحفلات من الشمبانيا في نظير الاستمتاع بالمباهج الجنسية. وقد ترجع حرية سلوكها في بعض الأحيان إلى انعكاس حريتها الاقتصادية، فلم تعد تعتمد على الرجل في معاشها. وقد لا يقبل الرجل على الزواج من امرأة برعت مثله في فنون الحب. فقدرتها على كسب دخل حسن هو الذي يجعل الزوج المنتظر مترددا، إذ كيف يمكن أن يكفي أجره المتواضع للإنفاق عليهما

(١) يقصد صناعة البغاء. ويلاحظ أنه يلتمس لها المبررات على الرغم من الأسى الذي يحسه على الفتاة الأمريكية!

معا في مستواهما الحاضر من المعيشة؟»[1].

«... ولندع غيرنا من الذين يعرفون يخبرونا عن نتائج تجاربنا.. أكبر الظنّ أنها لن تكون شيئا نرغب فيه أو نريده. فنحن غارقون في تيار من التغيير، سيحملنا بلا ريب إلى نهايات محتومة لا حيلة لنا في اختيارها. وأي شيء قد يحدث مع هذا الفيضان الجارف من العادات والتقاليد والنظم...»[2].

فإذا كان هذا قد كان واضحا عند رجل غير مسلم ـ بل رجل ملحد ساخر بكل القيم الدينية والأخلاقية ـ مثلْ ول ديورانت، قبل أكثر من نصف قرن من الزمان، فقد كان الأحرى أن يكون واضحا تماما عند المجتمع المسلم، الذي يهتدي ببصيرته الايمانية، المستمدة من إيمانه بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والذي يرى حتمية السنن الربانية في الحياة البشرية حين يقدم الناس لها الأسباب، ويؤمن بالنتائج السيئة المترتبة على فساد الأخلاق في حياة الأمم وحياة الأفراد.

---

(١) يقصد أن الرجل قد يرفض الزواج من الفتاة الفاسدة الأخلاق، ولكن الضغط الاقتصادي يجعله يقبل في النهاية بعد تردد!

(٢) مقتطفات سريعة من كتاب [مباهج الفلسفة] لول ديورانت، ترجمة عبدالعزيز جاويد وفي الأصل توسع في هذا الموضوع استغرق ما بين ص١٢٦ وص٢٣٦ من الترجمة العربية.

ولكن القضية أن المجتمع الإسلامي كان بعيداً ـ حقيقة الاسلام.

ومن هنا وُجدت الثغرة التي ينفُذ منها الشياطين.

وحين نفذوا فإنهم لم يقولوا إن المجتمع قد بعد عن الإسلام الصحيح وينبغي أن يعود إليه.. فما لهذا جاءوا، وما لهذا أطلقوا صيحاتهم! إنما هم كانوا يعملون ـ بجهدهم كله ـ ليخرجوا هذه الأمة من الإسلام، وليرسموا لها الطريق الذي يبعدها نهائيا عنه، ويمنعها ـ بكل سبيل ـ من العودة إليه.

● **ولئن كانوا قد استخدموا الإسلام في مبادىء حركتهم** ـ كما استخدمه قاسم أمين وغيره ـ ليتترسوا به من قذائف المعارضين، الذين سيرمونهم ـ ولا شك ـ بالمروق من الدين، فإن هذه المرحلة سرعان ما استنفدت أغراضها، ووقفوا موقفهم الحقيقي من الإسلام، وهو موقف النبذ والمعارضة والهجوم، على مرحلتين متتابعتين ـ بحكم الظروف ـ الأولى هي مهاجمة [التقاليد].. والأخرى هي مهاجمة [الدين] باسمه الصريح.

في مرحلة الهجوم الأولى هاجموا التقاليد التي كانت ظالمة بالفعل، من تأثير الردة الجاهلية التي كان المجتمع الإسلامي قد ارتد إليها نتيجة تخلفه العقدي، وعدم تطبيقه الإسلام على

صورته الحقيقة، ولكنهم حرصوا على أن يدخلوا في دائرة الهجوم التقاليد الإسلامية الحقيقية التي قررها الله ورسوله، جنبا إلى جنب مع التقـاليد الفـاسدة، ويطلقوا عليها جميعا أنها تقاليد [بالية] ينبغي أن تحطم وأن تغير، كما حرصوا على أن يسموها كلها بأنها من تراث العصور الوسطى [المظلمة]، التي ينبغي لها أن تمحى من الـوجـود في العصر الحـديث. . عصر النور. . والتحرر. . والانطلاق!

● وكـان في هذا الهجـوم ـ على هذا النحو ـ خبث ماكر ولا شك. **فحقيقة إن كلا النوعين من التقاليد ـ الصحيح والفاسد ـ كان قائما في الحياة الإسلامية**، بعضه إلى جانب بعض، ولكن كان من السهـل ـ **لو خلصت النيات ـ فرز هذه من تلك، والإبقـاء على التقاليد الحقة**، المستمدة بالفعل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومحاربة التقاليد الفاسدة، التي جاءت من الردة الجاهلية في شأن المرأة، حتى لو اقتضى الأمر خوض معركة مع المتمسكين بها، فإنما برز [العلماء] في حياة هذه الأمـة بالمعارك الحادة التي خاضوها ضد انحرافات المجتمـع، ولـو كان المجتمع كله غارقا فيها، وتركوا بصماتهم الإصلاحية بمقدار ما بذلوا من جهد، وبمقدار ما كان هذا الجهد مخلصا متجردا لله.

● لكن الخبثاء استغلوا ما غشي الإسلام من غبش في نفوس معتنقيه، فلم يعودوا يميزون بين الحق والباطل، واستغلوا بصفة خاصة جهالة [المثقفين]، **فهاجموا الظلم البين الذي يأباه الله ورسوله**، وأدخلوا ـ **تقاليد الإسلام الحقيقية على أنها من الظلم الذي ينبغي إزالته**، وزعموا ـ في بادىء الأمر ـ أنها ليست من الدين، إنما هي من وضع رجال متزمتين، اخترعوها من عند أنفسهم وألصقوها بالدين! حتى إذا زرعوا كرهها والنفور منها في قلوب أولئك [المثقفين]، وضمنوا لهذا النفور الثبات والرسوخ في قلوبهم، صارحوهم في المرحلة الأخيرة أنها من الدين! وقالوا لهم جهرة إن [الدين] ذاته هو البلاء الذي ينبغي التخلص منه ونبذه وراء الظهور!

● **هاجموا ترك المرأة جاهلة بلا تعليم**.. وكان هذا بالفعل من التقاليد الفاسدة التي انزلق إليها المجتمع الإسلامي بعيدا عن تعاليم الإسلام.

● **وهاجموا احتقارها وازدراءها**، وتعييرها بأنها تحمل وتلد ولا شأن لها بشيء آخر، وكان هذا بالفعل من التقاليد الفاسدة المضادة تماما لتعاليم الإسلام.

وهاجموا تزويجها بغير إذنها وبغير رغبتها، وكان هذا كذلك

من التقاليد الفاسدة المخالفة للنصوص الصريحة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولكنهم ـ إلى جانب ذلك ـ هاجموا حجابها، وهاجموا استقرارها في بيتها، وعدم خروجها إلا للضرورة، وصوروا ذلك بأنه سجن وضعها الرجل فيه أنانية منه وظلما، بينما هي أوامر صريحة من الله سبحانه وتعالى لأمهات المؤمنين ولنساء المؤمنين معهن. وطالبوا بخروجها إلى [المجتمع] سافرة [متحررة] بغير قيد، وهو أمر نهى الله عنه نهيا صريحا في آيات مبينات:

«وقرن في بيوتكن، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»[1].

«يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن»[2].

«وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو

(١) سورة الأحزاب [٣٣].
(٢) سورة الأحزاب [٥٩].

آبائهن . . . الآية»[١].

● **ولكن المهاجمين ـ في الجولة الأولى ـ خلطوا الحابل بالنابل ـ** عن عمد ـ وجعلوا القضايا كلها تقاليد عتيقة بالية عفى عليها الزمن، ولم يعد يستساغ وجودها في عصر الحرية والنور!

أما في الجولة الثانية (وسيأتي الحديث عنها) **فقد أصبح الدين ذاته هو الرجعية** التي ينبغي أن ننبذها لنكون [تقدميين]!

* * *

قلنا إن الصحافة ـ سواء اللبنانية المسيحية المارونية، أو المصرية الصميمة التي يشرف عليها من يحملون أسماء إسلامية[٢] ـ قد تابعت **[قضية المرأة]** باهتمام ملحوظ، وحرصت على تغذية المعركة بالوقود الدائم الذي لا يفتر، كما حرصت على متابعة **[الفتاة الجامعية]** وهي تشق طريقها [الصاعد] الذي تدوس فيه كل المقدسات لكي تصل إلى [النور]!

وكان من بين ما حرصت عليه تلك الصحافة ـ والمجلات الأسبوعية بصفة خاصة ـ إبراز [الروح الجامعية].

---

(١) سورة النور [٣١].

(٢) كان هناك [مسلمون] لا يربطهم بالإسلام شيء، وكان هناك متمسلمون مثل [روز اليوسف] وهي يهودية أو مسيحية سمت نفسها [فاطمة اليوسف].

ولا يتبادر إلى ذهن أحد أن المقصود بالروح الجامعية هو روح البحث العلمي، والتعمق في أخذ الأمور، وعدم التسرع في إصــدار الأحكــام حتى يتثبت البـاحث من أن لديه من الدلائل ما يسند الحكم الذي وصل إليه.. إلى آخر هذه المعاني التي تخطر على البـال حين تذكـر [الجـامعـة] وتـذكر [الروح الجـامعية].. والتي كان نصيب [الجـامعيين] منهـا في غالبية الأحيان ضئيلا للغاية..! إنما [الروح الجامعية] ـ اعلم هداك الله ـ هي **الاختلاط في الجامعة** بين البنين والبنات، ومقدار ما يقـع في هذه الممارسة من تحرر وانطلاق، وانعتاق من سجن التقاليد البالية التي تفصل شِقّيْ المجتمع بعضهما عن بعض، وتضع بينهما الحواجز التي تعيق الأمة كلها عن التقدم والارتقاء..!!

وحـذار أيتها الفتاة أن تنهزمي في المعركة! فالمجتمع كله ينظر إليك ويرقب نتيجة المعركة.

حذار أن تغضي بصرك! فغض البصر معنـاه عدم الثقة بالنفس، وهو من مخلفات القرون الوسطى المظلمة، التي كانت تنظر إلى المرأة على أنها دون الرجل.. فتغض بصرها[1]!

---

(١) غض البصر كما هو معلوم من أمر هذا الدين، هو أمر رباني للرجال والنساء معا: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم.. وقل للمؤمنات يغضضن =

أما أنت يا حاملة الراية فارفعي رأسك عاليا، لتثبتي أ
مساوية للرجل في كل شيء، وأنك ندّ له في كل شيء.
شيئان ينبغي أن [تحرر] منهما الفتاة الجامعية.. **غض البصر..**
والحياء!

* * *

● وفتاة الجامعة ينبغي كذلك أن تكون رشيقة خفيفة الحركة! **فإليك الأزياء..** انتقي منها ما يناسبك.. وما يظهر رشاقتك.. وأظهري من [زينتك] بقدر طاقتك!

لا حرج عليك.. ماذا تخشين؟!

أتخشين الدين؟ والأخلاق؟ والتقاليد؟

تعالي معا نحطم الدين والأخلاق والتقاليد، التي تريد أن تكبلك في حركتك فلا تكوني رشيقة كما ينبغي لك!

وينبغي كذلك أن تكوني جذابة!

= من أبصارهن ويحفظن فروجهن» فلا دخل لهذا الأمر بالدونية! إنما هو الاحتشام اللائق [بالإنسان] لكيلا يتحول إلى حيوان شهوان. وقد كان من أكثر من ألح على الفتاة أن تخلع حياءها ولا تغض من بصرها الكاتب الصليبي سلامة موسى، لغاية في نفسه مفهومة وواضحة. بينما تروي كتب السيرة عن قمة البشرية محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان أشد حياء من العذراء!

فهكذا المرأة [المتحررة] من صفاتها أن تكون جذابة.. في مشيتها.. في حركتها.. في حديثها!

ألا ترغبين أن [ينجذب] إليك فتى الأحلام.. شريك المستقبل؟!

إن لم ينجذب هذا، فلينجذب غيره.. المهم أن يكون هناك دائما من يتطلع إليك.. ويُعجب بك.. ويرغب فيك!

وبدأت [الفتاة الجامعية] تتخلع في مشيتها وتتكسر، وتتخلع في حديثها وتتكسر[1]، وأصبح هذا عنوان [المرأة الحديثة] أو [المرأة المتحررة] التي تملأ الشارع، فيعج الشارع بالفتنة الهائجة التي لا تهدأ ولا تستقر.. وهو المطلوب!

* * *

أما البيت.. فآخر ما تفكر فيه الفتاة الجامعية..

لقد نُعِتَ لها بكل نعت مقزز منفر.. حتى أصبح البقاء فيه هو

---

(١) يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا [أمهات المؤمنين]: «يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض» [سورة الأحزاب: ٣٢] وهن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمهات المؤمنين، وفي عصر الذروة الذي ارتفع فيه المجتمع الإسلامي إلى قمم لم تصل إليها البشرية في أي جيل من أجيالها، السابقة أو اللاحقة، فكيف بفتاة لا تعرف عن الإسلام إلا اسمه، ومجتمع شارد عن الإسلام؟ هل كان لهذه التوجيهات المسمومة إلا نتيجة واحدة: أن ينحل المجتمع، ويقضي على ما بقي فيه من دين وأخلاق وتقاليد؟

المعرة التي لا تطيق فتاة جامعية أن تلصق بها..

البيت هو السجن.. هو الضيق.. هو الظلام.. هو التأخر.. هو الرجعية.. هو [عصر الحريم].. هو التقاليد البالية.. هو القرون الوسطى المظلمة.. هو دكتاتورية الرجل.. هو شَلّ المجتمع عن الحركة، ودفعه إلى الوراء..!

إنما تتعلم الفتاة الجامعية لتعمل.. لا لتبقى في البيت كما كانت تصنع جدتها الجاهلة المتأخرة الرجعية القابعة في سجن التقاليد.. المستعبدة للرجل..

وحين تعمل تنمى شخصيتها.. تصبح إنسانة ناضجة!

أما حين تبقى في البيت.. فلأي شيء تبقى؟! لتطبخ وتغسل.. يا للعار!! أو تحمل وتلد وترضع.. إن هذا الأمر ـ حتى لو حدث ـ لا ينبغي أن يمنعها من العمل. فالمرأة [الحديثة] قد تغلبت على هذه المشكلة، ونسقت بين حياتها الزوجية وبين العمل، فلم يعد شيء يعوقها عن العمل بعد الزواج.. أما قبل الزواج فالعمل، ولا شيء غير العمل!

■ ولسنا هنا نناقش هذه اللوثة.. ولا الآثار التي ترتبت على [ترجيل المرأة] في أوربا، وإفساد فطرتها، وتنفيرها من أن تكون

على فطرتها التي فطرها الله عليها، ودفعها دفعا إلى التنصل من كل ما يتعلق بأنوثتها من قيم وممارسات (وتركيز الأنوثة كلها في لحظة الجنس الدنسة المسعورة) ودفعها إلى التشبه بالرجل، وتعليمها على مناهج الرجل، وتوجيه مشاعرها إلى العمل لا إلى البيت!

لا نناقض هنا هذه اللوثة.. ويكفينا أن نشير إلى أن المرأة الأوروبية نفسها قد بدأت تتعب من لوثتها، وتحن إلى العودة إلى بيتها وفطرتها.. وبدأت تدرك أن اللعبة كلها لم تكن لصالحها..[1]

إنما نتتبع فقط - في بلادنا - خطّ إخراج الأمة الإسلامية من الإسلام.. وتركيز المخططين على [قضية المرأة]، لعلمهم أنها من أفعل الوسائل في الوصول إلى الهدف المطلوب.

* * *

لم تكن الصحافة وحدها هي التي تعمل.. وإن كانت من أهم الأدوات.. إنها القصة والمسرحية والسينما والإذاعة.. كلها أدوات.

---

(١) ناقشت هذه القضايا في أكثر من كتاب، منها [الإنسان بين المادية والإسلام] و[منهج التربية الإسلامية] الجزء الثاني، و[مذاهب فكرية معاصرة]، ولا يتسع المجال هنا لإعادة المناقشة، فحسبنا هنا التقرير.

فأما القصة والمسرحية فقد بدأتا - كما كان متوقعا - بالترجمة، وانتهتا بالتأليف. وأما السينما فقد ظلت أجنبية فترة غير قصيرة من الوقت، حتى قام ناس فقالوا إن من العار علينا ألا تكون لنا سينما وأفلام [وطنية] أي متكلمة باللغة العربية (نقصد العامية!) فقامت [الجهود] وتكاتفت حتى برزت تلك الأفلام إلى الوجود.

فأما الإذاعة فقد جاءت متأخرة نوعا ما.. ولكنها سرعان ما لحقت الركب، وشاركت في الموكب [الكبير]..

لقد تكاتفت الأدوات كلها للوصول في النهاية إلى هدف واحد.. صرف هذه الأمة عن دينها وأخلاقها وتقاليدها. وإنشاء مجتمع [جديد] لا يحفل شيئا بالقيم الدينية، لا يجعلها نصب عينيه، ولا يستمد منها منهج حياته، ولا يلجأ إليها في تكوين أفكاره ولا اهتماماته ولا عاداته ولا أنماط سلوكه. لا بل إن ذكرها - في أي وقت - فهو ذكر السخرية والاستهزاء والاستخفاف.

ولا نحتاج هنا أن نتحدث عن هذه الوسائل (خاصة بعد أن أضيف إليها التليفزيون والفيديو) وعن آثارها المدمرة في حياة الأمة، فهذا واقع مشهود، يشهده الناس كل يوم وكل لحظة،

ويرون بأعينهم آثاره في أولادهم وبناتهم، ويرون بأعينهم كيف يعجزون عن صد آثاره المتلفة، ووقاية أولادهم وبناتهم من تلك الاثار.

إنما نذكر فقط [عينات] سريعة قد تعين في تصور التخطيط الذي يكمن وراء التنفيذ.

■ كتبت [رزو اليوسف] في مذكراتها ـ وكانت تقوم بالتمثيل على المسرح قبل اشتغالها بالصحافة وإصدار مجلتها التي تحمل اسمها ـ كتبت تقول إنها طلبت إعانة لمسرحها من الحكومة، وكانت مصر إذ ذاك خاضعة للنفوذ البريطاني المباشر، فنصحها المندوب السامي البريطاني (وهو الحاكم الحقيقي في مصر في ذلك الحين) أن تذهب إلى الريف، وتعرض مسرحيتها هناك، فإن فعلت ذلك نالت الإعانة في الحال![1]

والهدف واضح..

فالريف المصري في ذلك الوقت [مسلم] في عمومه، محافظ على بقايا من الدين والأخلاق، ومحافظ بشدة على [التقاليد] المستمدة من الإسلام (بصرف النظر عما غشاها في

(١) وهذا يفسر لنا حرص الفرق التمثيلية في ذلك الوقت على أن تجوب الريف، مع قلة من يفهمون [الفن] إذ ذاك!

بعض الجوانب من الانحرافات) ومن أشد ما يحافظ ■ الريف من التقاليد ـ وفي الصعيد خاصة ـ **قضية الحجاب وقضية العفة وقضية العرض**. . وقضية صيانة المرأة بصفة عامة من التبذل والانحلال و[الانفلات].

وبقاء الريف على هذه الصورة عقبة ولا شك أمام المخططين، **فالريف هو معظم مصر**. ولن يؤتى المخطط ثماره كاملة إن فسدت العاصمة وحدها، وبقي الريف سليما حتى ولو في محيط التقاليد. . فإن هذا يطيل الأمر على المخططين، ويستنفذ من وقتهم وجهدهم شيئا غير قليل (لم تكن الإذاعة قد أنشئت بعد، ولا التليفزيون بطبيعة الحال) فمن هنا يوجه المندوب السامي البريطاني [روز اليوسف] ـ وهو أعلم بحقيقتها، وحقيقة دورها ـ أن تذهب إلى الريف، لعل مسرحها ومسرحياتها أن تزحزحه قليلا عن تقاليده الصامدة، فيأخذ في [الذوبان]. . فتنفرج الأمور[1].

---

(١) لا نعجب إذا وجدنا الكاتب اليهودي الأمريكي [مروبرجر] في كتابه [العالم العربي اليوم] الذي صدر سنة ١٩٦٢ ينص نصا على أن المدينة ينبغي أن تصب خلاصة [تجربتها الحضارية] في الريف والبادية، بعد أن يقرر ـ بوضوح ـ أن الإسلام قد ضعف تأثيره في المدينة ولكنه مازال باقيا على قوته في الريف والبادية! ولا نعجب كذلك من حرص جمال عبدالناصر على توصيل الكهرباء إلى الريف المصري ـ وإلى الصعيد خاصة ـ عن طريق توليد الطاقة من السد العالي، ليشاهد الريفيون التليفزيون! وحرصه كذلك ـ في حربه مع اليمن ـ على إدخال التليفزيون إلى اليمن!

● نجيب الريحاني ممثل فكاهي موهوب، وصاحب [مدرسة] في التمثيل كما يقول نقاد المسرح. ولكنه صليبي لا ينسى صليبيته، وإن غلفها [بالفن].. بل هي عن طريق [الفن] تبلغ مداها الخبيث دون أن يحس الناس بالأمر، لأنهم مشدودون إلى البراعة الفنية المؤثرة، فيتلقون التأثير الخفي وهم في نشوة الإعجاب. فينساقون وراء التأثير.

له فيلم سينمائي[1] يسخر فيه من مدرس اللغة العربية ومن اللغة العربية سخرية ماكرة ـ مقصودة بلا شك ـ فيصور مدرس اللغة العربية بائسا مسكينا تبعث كل مواقفه على السخرية به، ولا يثير الاحترام عند أحد، ويجعل فتاة مائعة تحاول أن تقرأ نصا عربيا في درس المطالعة فتخطىء أخطاء مضحكة ـ يضحك لها الجمهور الغافل ـ ولكنها تقدم في سياق الأحداث بالصورة التي توحي للمشاهد أن البنت معذورة.. فاللغة هكذا.. صعبة على الأفهام! لا يمكن للمتعلم أن يستوعبها مهما بذل المعلم من الجهد!

● جورجي زيدان هو أحد مؤسسي دار الهلال (والآخر هو أخوه إميل زيدان) وهما ـ كما أسلفنا ـ من اللبنانيين المسيحيين

(١) اسمه [غزل البنات].

المارونيين الذين اتجهوا إلى تأسيس الصحافة في مصر. ولكن جورجي زيدان يزيد ـ على كونه صحفيا ـ أنه يكتب قصصا وروايات [إسلامية!] تتناول أحداث التاريخ الإسلامي في ثوب فني.. وقد تناول في رواياته عدة أحداث تاريخية، وله قدر من البراعة الفنية ـ بالنسبة لوقته على الأقل ـ تجعل القارىء يتابع رواياته في شغف وتأثر.

فكيف تناول أحداث التاريخ الإسلامي؟!

إنه ما من مرة ينسى فيصور المسلمين في موقف [إسلامي] يبعث على الإعجاب بهم، أو تقديرهم واحترامهم، فضلا عن أن يبعث في المسلم الاعتزاز بأمجاد الإسلام..

إنهم ـ أي المسلمون ـ إما غارقون في الطرب واللهو، والجري وراء شهواتهم، سواء شهوة الجنس أو شهوة الملك أو شهوة المال.. وإما واقفون مواقف جادة تثير الإعجاب، لأن واحدا من [أهل الكتاب] ـ سواء كان يهوديا أو نصرانيا ـ هو الـذي يشير عليهم ويخطط لهم، ويقف وراءهم يساندهم في التنفيذ! فإن لم يكن ذلك الواحد من أهل الكتاب حاضرا في الصورة، فالمسلمون في لهوهم وعبثهم، وخلافاتهم وشجاراتهم، ومؤامراتهم الهابطة.. يسلمون أنفسهم إلى الضياع.. وهذا

متى؟ في أشد الأوقات التي كان المسلمون فيها ممكنين في الأرض، تدين لهم الدنيا بالطاعة والإذعان!![1]

● تخصص مجموعة من القصصيين والمسرحيين والسينمائيين في موضوع معين، يتكرر بصورة مختلفة، **خلاصته أن فتاة ـ جامعية في الغالب، ومتعلمة بصفة عامة ـ لها [صديق]. . يقع بينهما ما يقع ـ على درجات مختلفة من الوقوع! ـ ثم يتقدم للزواج منها فيرفضه أبواها ـ الريفيان في الغالب، والرجعيان التقليديان بصفة عامة ـ إما لأنهما يرتبان لها زواجا معينا بعقليتهما المتخلفة، وإما لأنهما ـ حرصا منهما على [التقاليد] ـ يشعران بميل الفتاة له فيرفضانه من أجل هذا السبب بعينه. .** ثم تمضي القصة أو المسرحية أو الفيلم **بإصرار الفتاة على موقفها**، بصورة مختلفة من الإصرار، أدناها رفض الخطيب الذي يقدمه لها والداها، وأشدها ترك البيت والهروب مع [الصديق]. . وينتهي الأمر في كل حالة بتنفيذ ما أصرت عليه الفتاة، ورضى الوالدين، أو تسليمهما لأمر الفتاة التقدمية إذعانا للأمر الواقع، أو اقتناع الأم خاصة، ومحاولة إقناعها الأب بأنهما

(١) مما يؤسف له أن الذين يتجهون إلى [مسرحة] أحداث التاريخ الإسلامي للإذاعة أو التليفزيون من [المؤلفين]، يتجهون أول ما يتجهون إلى أعمال جورجي زيدان! فإن لم يجدوا فيها طلبتهم بحثوا عن مرجع آخر!

كانا مخطئين، وأن الفتاة على حق!

● تخصص مجموعة من الكتاب ـ في وقت من الأوقات[٢] ـ في القول بأن المجتمع لم يكن نظيفا من الجريمة الخلقية وقت أن كان محافظا على التقاليد.. وأن الفاحشة كانت تقع تحت ستار الحجاب.. وذلك ردا على الذين كانوا يقولون إن السفور والاختلاط سيؤديان حتما إلى التحلل الخلقي.

وكون المجتمع ـ أي مجتمع مهما كان محافظا ـ لا يخلو من وقوع جريمة فيه، فهذه الحقيقة.. يكفي شاهدا لها أن الفاحشة وقعت في مجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكنه من التبجح الغليظ أن يقال إنه ما دامت الفاحشة تقع هنا وتقع هناك، فلا فائدة في الدين، ولا فائدة في الأخلاق، ولا فائدة في التقاليد، ولا قيمة لكل التوجيهات الخلقية! فهناك فارق ضخم بين مجتمع لا تقع فيه الجريمة إلا شذوذا يستنكر،

(١) لا يذكر بطبيعة الحال موقف الإسلام في هذه القضية، لأنه ليس المقصود هو التصحيح باسم الإسلام، إنما باسم التقدم والتحرر والخروج على الإسلام! فضلا عن أن الإسلام لن يرضى عن العلاقة القائمة بين الولد والبنت قبل الزواج، وهذه العلاقة بالذات هي موضوع [الدعوة] في القصة والمسرحية والفيلم!

(٢) ربما لم تعد هذه الموضوعات تطرق في مصر اليوم فقد استنفذت أغراضها، ولكنها لا تزال تستخدم في بقاع أخرى من العالم الإسلامي، حيث توجد بقية من تقاليد يراد القضاء عليها!

وتنال عقوبتها الرادعة حين تقع، ومجتمع يعج بالفاحشة حتى تصبح العفة فيه هي الشذوذ المستنكر!

● كتب إحسان عبدالقدوس في إحدى توجيهاته التي كان يبثها في مجلة [روز اليوسف][1] : إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها، وتذهب إلى أبيها، وتقول له: هذا صديقي!

● كتب أنيس منصور في إحدى مقالاته في أخبار اليوم إنه زار إحدى الجامعات الألمانية ورأى هناك الأولاد والبنات أزواجا أزواجا مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة.. قال: فقلت في نفسي: متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط! لكي تراه عيون أهل الصعيد، وتتعود عليه!

هذا وغيره فضلا عن آلاف بل ملايين الصور العارية.. والأغاني العارية.. والأفكار العارية.. والنكت العارية.. التي تملأ الصحف والمجلات والإذاعة والسينما والتليفزيون.. وآلاف بل ملايين الأجساد العارية في كل مكان: في الشوارع والمكاتب ووسائل المواصلات والشواطىء العارية في فصل الصيف..

---

(١) روز اليوسف هي أم إحسان عبدالقدوس.

وفضـــلا عن التفـاهــة التي تشيعهـا السينـما والإذاعـة والتليفـزيون في نفـوس مشـاهديها ومستمعيها.. التفاهة التي تجعل النفوس لا تتجه لشيء جاد.. فضلا عن أن تتجه لله واليوم الآخر، أو للجهاد في سبيل الله!

* * *

ولم تكن [قضية المرأة] وحدها، وما نتج عنها من الفساد الخلقي، هي التي استخدمت في فك ارتباط المجتمع بجذوره الإسلامية، فقد كان الجهد المبذول شاملا لجميع الميادين بلا استثناء، وإن كانت [قضية المرأة] والفساد الخلقي الناشىء من [التحرر]، من أفعل الوسائل في فك ذلك الارتباط.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٣
قاسم أمين وابتعاثه إلى فرنسا	٧
غيرته على الاسلام والمرأة قبل ابتعاثه	٧
لقاء الفتى بالفتاة	٨
براءة العلاقة	٨
نظرته إلى براءة العلاقة	٩
كيف حدث التغيير لفكر قاسم	٩
بدء دعوته للتحرير	١١
مغالطات قاسم أمين	١١
الأولى: دعوى براءة العلاقة	١١
الثانية: تجاهله آثار مثل هذه العلاقة في المجتمع الفرنسي	١٢
الثالثة: زعمه أن الخير في التحرير	١٢
الفرق بين دعوة رفاعة الطهطاوي ودعوة قاسم أمين	١٣
كتابه تحرير المرأة	١٣
كتاب المرأة الجديدة	١٣
السير في طريق الغربية	١٤
تحريك القضية	١٥
من أين جاءت القضية؟ القضية في أوروبا	١٦

القضية في العالم الاسلامي ١٧
قضية انحراف المجتمع الاسلامي ١٧
قضية المرأة عرض من أعراض مرض الأمة ١٧
قضية الحجاب والسفور ١٨
من فرض الحجاب ١٩
الحركة النسائية ٢١
النساء والسفور ٢١
هدى شعراوي ودورها في القضية ٢١
مظاهرة النسوة أمام الانجليز ٢٢
مسرحية خلع الحجاب ٢٣
علاقة المظاهرة بخلع الحجاب ٢٣
البطولة ضد الإسلام ٢٤
بطولة النساء ٢٦
وسقط الحجاب ٢٨
الاستفادة من الوضع الجاهلي في المجتمع الاسلامي ٢٨
الهدف من استغلال الوضع ٢٩
المخدوعون المستغفلون ٣٠
بدائل للاصلاح والتصحيح ٣٠
الخيار المعروض ٣٠
حركات الاصلاح المقامة في المجتمع الاسلامي ٣١
التدريج في التحرير ٣١
بنات المدارس ٣١

الحجاب عقيدة أم تقاليد؟ ٣٣
لم كان الحجاب؟ ٣٤
أول مدرسة ثانوية للبنات ٣٥
المناهج رجالية ٣٦
إرجاء الزواج ٣٧
تعدد المدارس الثانوية ٣٨
الصحافة النسوية وركن المرأة ٤٢
وجاء دور الجامعة ٤٣
المعركة بين المدافعين والمعارضين ٤٤
فرق المدافعين ٤٤
قضية التعليم ليست هي القضية ٤٨
تعليم المرأة وشروط التعليم ٤٨
منطلق المعارضين ٥٠
السبب في التمكين للغزو الفكري ٥٠
التغيير الحقيقي لما حدث في قضايا المسلمين ٥٢
العقيدة الحيّة لا تقهر ٥٢
إلى الجامعة للتحرير والتدريج ٥٦
الجامعة المصرية ٥٦
أساتذة كلية الآداب ٦٠
كلية الحقوق ٦٣
الكليات العملية «علمانيون لا دينيون» ٦٣
دور وسائل الاعلام ٦٥

عدسة الصحافة ٦٥
وضع المرأة في المجتمع الاسلامي ٦٧
منفذ الشياطين ٦٨
قول مردود ٦٨
مراحل موقف المدافعين من الاسلام ٧٢
مهاجمة التقاليد ٧٢
خبث الهجوم ٧٣
الحركة الصحفية ٧٦
مفهوم الروح الجامعية عند الصحافة ٧٧
حذار أن تغضي بصرك ٧٧
كيف يكون مظهرك؟ ٧٨
دور القصة والمسرحية السينما ٨١
الاذاعة ٨٢
تكاتف الأدوات ٨٢
عينات تحريرية ٨٣
روز اليوسف ٨٣
نجيب الريحاني ٨٥
جورجي زيدان ٨٥
القصصيون والمسرحيون والسينمائيون ٨٧
إحسان عبدالقدوس ٨٨
أنيس منصور ٨٩

قضية تحرير المرأة

- الحجاب عقيدة أم تقاليد ؟
- العقيدة الحية لا تقهر .
- من فرض الحجاب .
- التدرج في التحرير .
- وسقط الحجاب .
- مسرحية خلع الحجاب .

فسح الاعلام رقم ٤٢٢٥/م وتاريخ ٢٣/ ٦/ ١٤١٠هـ

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ • الرياض